أسلوب الاستهزاء
في ضوء القرآن الكريم
أخطاره وآثاره

اسم الكتاب: **أسلوب الاستهزاء في ضوء القرآن الكريم أخطاره وآثاره**

اسم المؤلف: **حسني محمد العطار**

مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر

الطبعة الأولى:: ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م

المكتبة القرآنية

الكتاب الثاني

أسلوب الاستهزاء

في ضوء القرآن الكريم

أخطاره وآثاره

تأليف الأستاذ

حسني محمد العطار

رفح - فلسطين

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م




بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ،
وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(سورة التوبة: ١٤- ١٥)

إهداء

إلى الذين يعملون، ولا يضرهم من لا يعمل

إلى المخلصين في زمن اللاإخلاص

إلى المحترمين في زمن اللااحترام

إلى الذين تطاولت بهم الأيام وهم لا يستحقون

إلى الذين تطاولت عليهم الأيام وهم لا يستحقون

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه، ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد:

كان، وما زال من قدر الله تعالى، أن يظهر لكل دين، ولكل نبي ورسول، ولكل صاحب دعوة حق وخير، على مدار التاريخ البشري من الأعداء، والمناوئين، ما تتعدد صفاتهم وتتنوع أساليبهم.

فمنهم من حمل السيف والبندقية في مواجهة هذه الدعوات، يقتل هذا ويبطش بذاك ويسجن من لا يحب وينفي من لا يريد، يكمم أفواهاً، ويحجر على آخرين.

ومنهم من سلك طريق التشكيك، والاستهزاء والسخرية والاستعلاء والتكذيب.

هذه كانت، وما زالت سياسة أعداء ومعارضي دعوات الخير، والهداية والإصلاح، على مدار رحلة تاريخ الإنسان، قديماً وحديثاً.

ولقد سجل القرآن الكريم على أعداء الدعوة، ومن اللحظة الأولى أسلوبهم في التعامل مع هذا الدين، وصاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف أنهم اتخذوا من الله ودينه ورسوله وأصحابه، اتخذوهم مجالاً واسعاً للسخرية والاستهزاء والتطاول.

في نفس اللحظة تعامل القرآن والنبي مع هؤلاء الكفار أو المنافقين أو اليهود بالأسلوب الذي يليق بهم، فكان غاية في تحقيرهم، والازدراء بهم.

لهذا لا أرى عجباً فيما يحدث في بعض بلاد العرب والمسلمين من ثورات على الحكام الظالمين، الذين أفسدوا كثيراً في البلاد، خانوا الأمانة، وضيّعوا مقدرات الأمة، وكانوا خداماً لأعداء الوطن والدين، حسبوا أنهم يحسنون صنعاً، فكانت هذه النهاية التي يستحقونها، أين طاغوت تونس؟ وأين فرعون مصر؟ والأرض تتزلزل من تحت أقدام البقية الباقية، خدعوا الشعوب وقالوا جئنا لنحرر البلاد

والعباد، وإذا بهم ألعن ممن سبقهم، وأكثر إجراماً ودموية وطغياناً ممن انقلبوا عليهم، هذه نهاية الذين سخروا من آيات الله ومن عباده، وبقيتهم على قائمة الانتظار.

وأسلوب الاستهزاء في القرآن الكريم هو أسلوب من جملة أساليب اشتمل عليها الخطاب القرآني، فقد استعمل أسلوب القصة أحياناً، وأسلوب الحوار أحياناً، وأسلوب ضرب الأمثال ثالثة، وغيرها، ومن ضمنها أسلوب الاستهزاء، وذلك لبيان حقيقة الكفار والمشركين، ودخيلة نفوسهم، وما يكنون في صدورهم.

والاستهزاء من قبل الكفار وغيرهم من المنافقين وضعاف الإيمان تجاه الله ورسوله، والصحابة والمؤمنين يعتبر من كبريات المعاصي، إذ يقول تعالى: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**} (سورة البقرة: الآية ١٣-١٥).

لهذا جاء هذا البحث لبيان معنى وحقيقة الاستهزاء، وبيان أقسامه وأحكامه وآثاره على المجتمع والدعوة.

في الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني، وأن ينفع بجهدي الأمة والدين.

إن كان في عملي صواب وتوفيق، فهو من الله، فله الحمد والمنّة، وإن كان فيه تقصير فمن نفسي.

اللهم تقبّل مني، واقبلني، واغفر لي ولوالديَّ ولمشايخي ولمعلمي الخير.

تمهيد

حقيقة الاستهزاء، والألفاظ ذات الصلة

كثيراً ما تقوم العلاقة بين أهل الحق، وأهل الباطل على الاستهزاء، والسخرية، فأهل الباطل ينظرون إلى أهل الحق نظرة استهزاء وسخرية، نظرة استعلاء من ناحية، ودونية من ناحية أخرى، استعلاء لأنهم يظنون في أنفسهم الأفضل والأحسن، ودونية في غيرهم لأنهم ينظرون إليهم على أنهم متخلفون، ضالون.

لهذا لا نرى عجباً حينما نسمع قوم نوح وهم يخاطبون نبي الله نوح عليه السلام يقولون له: **{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}** (سورة هود: الآية ٢٧).

وهكذا هي نظرة كل الأمم التي ظلمت نفسها.

في هذا التمهيد سيكون الحديث عن الاستهزاء حقيقته، والألفاظ ذات الصلة، وسيكون ذلك من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الاستهزاء.

المبحث الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثالث: آيات الاستهزاء والسخرية في القرآن الكريم.

لمبحث الأول

حقيقة الاستهزاء

إن معرفة أي شيء تعتمد على معرفة حدوده ومعانيه، وربط هذه المعاني المتعددة بما بينها من صلات حتى نقف على حقيقته، وحتى تتبين لنا مدلولات ألفاظه، ومن الأهمية بمكان ربط الصلة ما بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي.

وهذا ما سأتناوله في هذا المبحث حقيقة الاستهزاء في اللغة والاصطلاح:

أولاً: حقيقة الاستهزاء في اللغة:

هو مصدر للفعل هزأ يهزأ هزءً وهزءًا، ويأتي على عدة معانٍ منها (١):

السخرية: استهزأ به سخر منه.

الكسر: هزأ الشيء كسره، وعلاقتها بالاستهزاء هي كسر أعراض الناس والغض منهم، والطعن فيهم.

[1] لسان العرب: ابن منظور، ٨٠١/٦.

الموت: هزأ الرجل، مات.

تحريك الشيء: هزأت الراحلة إذا تحركت.

وقال ابن فارس: والفعل مأخوذ من مادة (هـ ز أ) التي تدل على السخرية، أو على مزح في خفية، أو على السخرية واللعب، يقال: هزئت به، واستهزأت، والاستهزاء ارتياد الهزء[١].

واستهزأ الرجل بفلان: سخر منه واستخف به. والهزأة من الناس هو الذي يكثر من الهزء بالناس والسخرية منهم[٢].

والصواب في الاستهزاء هو: هزئت بك، وليس هزئت منك فهي خطأ، وهذا خلاف السخرية فيقال سخرت منك، ولا يقال سخرت بك [٣].

قال ابن عاشور: وهو مرادف للسخرية في كلام أئمة اللغة [٤].

---

[١] مقاييس اللغة: ابن فارس، ٥٢/٦.
[٢] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٤٠٩/٤.
[٣] لسان العرب: ابن منظور، ٨٠١/٤.
[٤] انظر: تفسير الحرير والتنوير: ابن عاشور، ١٤٧/٧.

ثانياً: حقيقة الاستهزاء في الاصطلاح:

هناك من الألفاظ ما يصعب تعريفها عند أهل الاختصاص، ربما لشهرتها، وذيوعها، ومن هذه الألفاظ لفظة (الاستهزاء)، ومن خلال البحث لم نجد عالماً أفرد لها تعريفاً اصطلاحياً كما يحدث مع كثير من الألفاظ والمفاهيم، إنما هو كلام بين ثنايا الحديث عن الاستهزاء، والسخرية، إلا أننا وجدنا البعض منهم حاول أن يضع تعريفاً، أو ما يمكن أن نعتبره تعريفاً، ومنهم:

عرّف ابن ملوح الاستهزاء بأنه: "هو ارتياد أو طلب الهزء دون أن يسبق من المهزوء منه فعل يقتضي ذلك"[١]

عرّفه ابن تيمية بأنه: "هو السخرية وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة"[٢].

عرّفه الراغب الأصفهاني بأنه: " ارتياد الهزء ويعبر به عنه"[٣].

عرّفه الإمام الغزالي بأنه: "هو الاستهانة، والتحقير، والتنبيه على العيوب، والنقائص على وجه يُضحك منه،

[١] . نضرة النعيم: ابن ملوح، ٣٨٧٣/٩.
[٢] . الفتاوى الكبرى: ابن تيمية، ٢٢/٦.
[٣] . المفردات: الراغب، ٥٤٣.

ويكون ذلك بالمحاكاة في الفعل، والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء"[٤].

عرّفه الشيخ الجرداني بأنه: " إظهار كل عقيدة أو فعل أو قول قصداً يدل على الطعن في الدين والاستخفاف به، والاستهزاء بالله ورسله" [٥].

يظهر مما تقدم أن الاستهزاء معناه: الاستهانة، والتحقير، وإظهار كل ما يطعن في الدين، وإظهار المعارضة للرسل، ودعواتهم.

التعريف المختار:

بالنظر في التعريفات السابقة، أرى أن التعريف المختار هو تعريف الإمام الغزالي، وهو: " الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يُضحك منه، ويكون ذلك بالمحاكاة في الفعل، والقول، وقد يكون بالإشارة، والإيماء".

وذلك للأسباب التالية:

- جعله الاستهزاء مبنياً على الاستهانة والتحقير.

- بيّن غاية الاستهزاء وهي إظهار العيوب والنقائص.
- هدف الاستهزاء: الضحك على الآخرين واستصغارهم.
- وسيلة الاستهزاء: المحاكاة ويكون ذلك بالقول أو بالفعل (الإشارة أو الإيماء).
- جمع التعريف كل أشكال الاستهزاء.

المبحث الثاني

الألفاظ ذات الصلة

من خلال تعريف الاستهزاء في اللغة، والاصطلاح، انتهى البحث إلى وجود صلة قوية بين لفظة الاستهزاء وبين مجموعة من الألفاظ ذات الصلة مثل:

السخرية – الاستخفاف – التحقير – الاستهانة – التهكّم – الاستكبار – الاستعلاء – الغمز – اللمز.

فما معنى هذه الألفاظ، وما صلتها بالاستهزاء؟

أولاً. السخرية:

في اللغة: هي مصدر من الفعل: سخر يسخر سُخراً أو سِخراً وسخرة [1].

والسخرية: الاستهزاء والضحك، وتأتي على عدة معانٍ منها[2]:

- الضحك.
- القهر والذلة.

[1] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[2] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

- كلفة العمل بدون أجرة.
- من لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر.
- الطاعة والجريان.

الرابط بين هذه المعاني:

معنى التقليل، والتحقير من شأنهم، والاستهزاء بهم، وبين من يمنع عنه الأجرة الذي هو حق طبيعي له هو إلحاق الضرر مادياً ومعنوياً، فهو قهره، وأذله، وسرق جهده، وألحق الضرر به.

وفي الصحاح: سخرت منه إذا هزئت به، ويقال سخرت منه وسخرت به، كما يقال ضحكت منه، وبه وهزئت منه وبه[1].

العلاقة بين السخرية والاستهزاء:

من خلال البحث والدراسة وجدنا أن أغلب العلماء يقولون إن السخرية والاستهزاء بمعنى واحد ومن هؤلاء الإمام القرطبي: "الهزء والسخرية بمعنى واحد"[2].

---

[1] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[2] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور معلقاً على قول الله تعالى: **{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}** (سورة الأنبياء: الآية ٤١)، يقول: " والاستهزاء مرادف للسخرية في كلام أئمة اللغة، فذكر أولا: استُهزئ لأنه أشهر، ولما أُعيد عبّر عنه بـ سخروا، ولما أُعيد ثالث مرة رُجع إلى فعل يستهزئون، لأنه أخف من يسخرون، وهذا من بديع فصاحة القرآن وإعجازه"(١).

وقال بعضهم بينهما فرق يتمثل في أن الهزء هو إظهار الجد وإخفاء الهزل فيه، أي أنه يكون بالقول المصحوب بسوء النية، ولا يشترط فيه أن يسبقه فعل من أجله يُستهزأ بصاحبه من أجل ذلك الفعل.

أما السخرية فإنها تكون بالفعل أو الإشارة، وتكون بالقول، ويسبقها في العادة فعل من أجله يسخر بصاحبه، ويتلخص ذلك في أمرين:

السخرية: وتكون بالفعل والقول، والهزء لا يكون إلا بالقول.

---

[1] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

السخرية: يسبقها عمل من أجله يسخر بصاحبه، أما الاستهزاء فلا يسبقه عمل [1].

ولقد وردت كلمة السخرية في القرآن الكريم في (١٦) موضع، في إحدى عشر سورة، منها ثلاث مدنية، والباقي مكّية: المدنية هي: البقرة، والتوبة والحجرات.

والمكّية هي: الأنعام، هود، الأنبياء، الصافات، الزمر، المؤمنون، ص، والزخرف.

وهذا له دلالة مهمة وهي: أن المرحلة المكّية هي مرحلة الاستضعاف، والتكوين قد تواجه محناً وشدائد، وأكثر مما هو في مرحلة القوة والتمكين.

كانت صيغة المضارعة أكثر شيوعاً في استعمالات الكلمة، وهذا يدلل على استمرارية المحنة على مدى السنين والأيام، وورود أكثرها في العهد المكّي للإرشاد والتوجيه والتعليم حتى يتحلى الصحابة بالصبر، ليتجاوزوا تلك المحن.

---

[1] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

حكم السخرية:

يُفهم من النصوص الشرعية التي تكلمت عن السخرية أن الوقوع في ذلك محرّم في حق كل مسلم بل هي من أعظم المعاصي التي يقع فيها المرء، بل هي ناقض من نواقض الإيمان، وكفر بالله وبرسوله، وبدينه، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا} (سورة البقرة: الآية ٢١٢)، فهذه الآية صريحة في كفر من يسخر من الله ورسله أو دينه والمؤمنين.

يقول ابن تيمية عند حديثه عن قول الله تعالى: **{قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}**، "فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين الله لهم أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه، فدل ذلك أنه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم، ولكن لم يظنوه كفراً، وكان كفراً كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا بجوازه" (١).

السخرية من الدين وشرائعه وشعائره، وحملته من العلماء والصالحين، والدعاة هي من أخص صفات المنافقين.

[1] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

لهذا لا يجوز للمسلم أن يسخر من أخيه المسلم لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ}** (سورة الحجرات: الآية ١١).

إن الإنسان قد يكفر بكلمة، وهو يلعب ويضحك، ولا يشعر بذلك، فعليه أن يحذر من هذا اللسان الذي هو أكثر ما يدخل صاحبه النار، قال عليه الصلاة والسلام: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرقين"[١].

ثانياً. الاستكبار:

عرفه العلماء بأنه: الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه. [٢]

ومنه قول الله تعالى: **{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ}** (سورة الأعراف: ٨٨).

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٦٤٧٧)، كتاب (الرقاق)، باب: (حفظ اللسان)، ٢٠٢٢/٤.

[٢] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣٢٤/٣.

ومنه قوله تعالى: {**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**} (سورة الأعراف: ١٤٦).

ثالثاً. الاستعلاء:

ومنه قول الله تعالى: {**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**} (سورة الإسراء: ٣٧).

ومنه قول الله تعالى: {**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**} (سورة القصص: ٣٨).

ومنه قوله تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (سورة لقمان: ١٨).

ومنه قوله تعالى: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**} (سورة المنافقون: ٥).

رابعاً. التحقير:

مصدر للفعل حقر يحقر حقراً، الشيء استصغره، وأذله، وتأتي بمعنى الشيء الذي لا قيمة له، ولا مكانة، فهو مستهان (١)

والحقارة عبارة عن كون الشيء ساقطاً عن النفع والانتفاع (٢).

واحتقار الإنسان لأخيه الإنسان هو أن يستصغره، ويستغله ويزدريه، ويراه شيئاً يستحق الامتهان، أو على الأقل الإهمال وعدم العناية به، وعند ابن منظور: حقر: في كل المعاني: الذلة والصغار (٣).

ولا يجوز له أن يحتقره لمعصية يرتكبها، أو ذنب يقع فيه، فإنه لا يدري المصير لنفسه، ولا لغيره، فقد يغفر الله لإنسان كل كبيرة إذا مات على الإيمان ويدخل الله إنساناً آخر النار بسب صغيرة من الصغائر (٤)، عن أبي هريرة

---

[١] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[٢] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[٣] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[٤] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"[١].

خامساً الاستخفاف: في اللغة:

هو مصدر للفعل: استخف يستخف استخفافاً، ويأتي على عدة معانٍ منها [٢]:

- الخفة، خفيف الروح.
- الاستهانة.
- الخروج عن الوقار.
- التحول والرعونة.

وعند ابن منظور: استخف: استهان به، وجهل واستفز، والارتحال[٣].

ومدار هذه المعاني جميعاً يدور في فلك الاستهانة، والخروج عن الوقار، والتحول إلى الرعونة.

في الاصطلاح: عرّفه الأستاذ حسن أيوب: "النظر إلى الناس نظرة غير مسئولة، واحتقارهم لأنهم لا يستحقون

---

[١] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[٢] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[٣] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

الاهتمام بهم، ولا يليق بمن يحتقرهم أن يسوي إليهم معروفاً، أو يؤدي لهم حقاً أو واجباً ". (١)

والاستخفاف ورد في القرآن الكريم مرتان، في قوله تعالى: **{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَايُوقِنُونَ}** (سورة الروم: ٦٠).

ومرة ثانية في قوله تعالى: **{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}** (سورة الزخرف: الآية ٥٤).

وهو من الأخلاق الذميمة التي ذمها الله سبحانه وتعالى، وجعلها مما ينقص الإيمان إذا كانت في حق المؤمنين، والدين والرسل، وهي من أخلاق المستكبرين الذين يستعلون على الناس بأموالهم، فيكون ذلك مدخلاً إلى الكبر والخيلاء.

والاستعلاء قد يكون من الأفراد وهو الأغلب، وقد يكون من الحكومات والهيئات العليا في الدولة، والأحزاب والتنظيمات، ونسي هؤلاء وهؤلاء قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من لا يرحم لا يُرحم"(٢).

---

[١] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[٢] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

سادساً. الغمز: في اللغة:

مصدر للفعل غمزه يغمزه غمزاً، وهي الإشارة بالعين والحاجب، والجفن، وتأتي على عدة معانٍ منها (١):

العصر باليد والكبس: غمز العود بيده، عصره وشد عليه بأصابعه.

الضعف في العمل. والجهل في العقل.

وعند ابن منظور: الغمز بمعنى العصر باليد والكبس، وبمعنى الضعف في العمل وجهل العقل، والمغامز: المعايب، والمغموز: المتهم، والمغمز: المطمع (٢)، وغامز الرجل المرأة: غمزها، يشير إليها في دعارة.

وغامز الرجلُ، الرجلَ: تبادل معه المعايبة، وتغامز الناس: طعن بعضهم بعضاً ذكراً للعيوب.

وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: **{وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ}** (سورة المطففين: الآية ٣٠).

ومنه قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى**

---

[١] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.
[٢] لسان العرب: ابن منظور، ٤/١٠١٥.

أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ}

(سورة المطففون: ٢٩-٣٢).

يعقب الأستاذ سيد قطب على هذه الآية قائلاً: " يغمز بعضهم لبعض بعينه، أو يشير بيده، أو يأتي بحركة متعارفة بينهم للسخرية من المؤمنين، وهي حركة وضيعة واطية تكشف عن سوء الأدب، والتجرد من التهذيب، بقصد إيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين، وإصابتهم بالخجل والربكة، وهؤلاء الأوغاد يتغامزون عليهم ساخرين " (١).

حكم الغمز: والغمز من أخلاق المنافقين التي نهى عنها الدين، وهي من أفعال الكافرين والمشركين، والمسلم لا يجوز، ولا يليق به أن يكون غمازاً بإخوانه المسلمين، وإلا ضيع عليه هذا الخلق دينه وإيمانه.

سابعاً. اللمز: في اللغة:

مصدر للفعل لمز يلمز لمزاً: الرجل صاحبه عابه تلميحاً، واللامز هو الذي يعيب غيره، واللماز هو من اعتاد هذا الفعل الذميم (٢).

---

[1] في ظلال القرآن: قطب، ٣٨٦١/٦.

[2] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ١٣٧/٤.

وعند ابن منظور: تحريك الشفتين بكلام خفي، وهو الذي يعيبك في وجهك، خلاف الهمز الذي يعيبك بالغيب، ورجل لمّاز أي عيّاب، والهاء للمبالغة، وليس للتأنيث (١).

وقد ورد اللمز في القرآن في أربعة مواضع، وبصيغ متعددة منها: يلمزون – تلمزوا – يلمزك – لمُزة.

اللمز: ومنه قول الله تعالى: **{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (سورة التوبة: ٧٩).

ومنه قوله تعالى: **{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}** (سورة الهمزة:١).

ومنه قوله تعالى: **{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ}** (سورة الحجرات: ١١).

حكم اللمز: نفس ما تكلمنا عنه في حديثنا عن الغمز، إنه خلق ذميم، يُضيع الإيمان، وينقصه، وهو من أخلاق المنافقين، وأفعال المشركين والكافرين، والأجدر بالمسلم

---

[١] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٣/٣٢٤.

الحريص على دينه أن يهجر مثل هذه الأخلاق الذميمة، وأن يتخلق بالخلق الإسلامي الحسن الطيب والجميل.

وهكذا بقية الألفاظ ذات الصلة: الاستكبار، والاستعلاء والتهكم، والتي جميعها تدور في فلك واحد وهو الاستهزاء والسخرية واحتقار الآخرين، وكل ما له صلة بالدين.

الصلة بين هذه الألفاظ والاستهزاء: من خلال الاطلاع على المعنى اللغوي، وبعض الدلالات الاصطلاحية لهذه الألفاظ، نجد أنها جميعها من نفس معنى كلمة الاستهزاء، فهي جميعها واحدة في الدلالة والغاية، وهي جميعها تؤدي نفس الوظيفة المطلوبة منها، وهو الاحتقار والسخرية من الآخرين، أشياءً وأشخاصاً.

المبحث الثالث

آيات السخرية والاستهزاء في القرآن الكريم

أولاً. الاستهزاء:

وردت كلمة الاستهزاء في القرآن الكريم بجميع مشتقاتها أربع وثلاثون مرة في إحدى وعشرين سورة، أربعة مدنية، وسبع عشرة مكية، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على حجم وخطورة الاستهزاء والسخرية التي كان يلقاها النبي والمسلمين من مشركي قريش قبل الهجرة، وهذه المواضع هي:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	مكان النزول
١	وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ	البقرة	١٤	مدنية
٢	اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ	البقرة	١٥	مدنية

٣	إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا	البقرة	٦٧	مدنية
٤	وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا	البقرة	٢٣١	مدنية
٥	إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّـهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا	النساء	١٤٠	مدنية
٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا	المائدة	٥٧	مدنية
٧	وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا	المائدة	٥٨	مدنية
٨	فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الأنعام	٥	مكية
٩	وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الأنعام	١٠	مكية
١٠	قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّـهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ	التوبة	٦٤	مدنية
١١	قُلْ أَبِاللَّـهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ	التوبة	٦٥	مدنية

١٢	وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	هود	٨	مكية
١٣	وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الرعد	٣٢	مكية
١٤	وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الحجر	١١	مكية
١٥	إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ	الحجر	٩٥	مكية
١٦	فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	النحل	٣٤	مكية
١٧	وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا	الكهف	٦٥	مكية
١٨	ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا	الكهف	١٠٦	مكية
١٩	وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا	الأنبياء	٣٦	مكية
٢٠	وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الأنبياء	٤١	مكية

٢١	وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا	الفرقان	٤١	مكية
٢٢	فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الشعراء	٦	مكية
٢٣	ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ	الروم	١٠	مكية
٢٤	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ	لقمان	٦	مكية
٢٥	يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	يس	٣٠	مكية
٢٦	وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الزمر	٤٨	مكية
٢٧	وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	غافر	٨٣	مكية
٢٨	وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ	الزخرف	٧	مكية

	يَسْتَهْزِئُونَ			
٢٩	وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آَيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ	الجاثية	٩	مكية
٣٠	وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الجاثية	٣٣	مكية
٣١	ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا	الجاثية	٣٥	مكية
٣٢	إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	الأحقاف	٢٦	مكية

ثانياً. السخرية:

أما السخرية فقد وردت بمشتقاتها ست عشرة مرة، في إحدى عشرة سورة، منها ثلاث مدنية والباقي مكية، وهذه أيضاً إن دل فإنما يدل على ما كان يلاقيه النبي عليه السلام والمؤمنون من المشركين:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	مكان النزول

١	**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا**	البقرة	٢١٢	مدنية
٢	**فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**	الأنعام	١٠	مكية
٣	**وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**	التوبة	٧٩	مدنية
٤	**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**	هود	٣٨	مكية
٥	**فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**	الأنبياء	٤١	مكية
٦	**فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ**	المؤمنون	١١٠	مكية
٧	**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ**	الصافات	١٢	مكية
٨	**وَإِذَا رَأَوْا آَيَةً يَسْتَسْخِرُونَ**	الصافات	١٤	مكية
٩	**أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ**	ص	٦٣	مكية

	الْأَبْصَارُ			
١٠	**نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**	الزمر	٥٦	مكية
١١	**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**	الزخرف	٣٢	مكية
١٢	**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**	الحجرات	١١	مدنية

بعد الانتهاء من استقراء الآيات الكريمة التي وردت فيها لفظتي الاستهزاء والسخرية نستنتج ما يأتي:

ورود لفظتي الاستهزاء والسخرية في القرآن المكي أكثر بكثير منه في القرآن المدني، وهذا يدل على ما يمكن أن يلاقيه الدعاة في مرحلة الاستضعاف والنشأة، والاستهزاء والسخرية هي من أنواع المحن والمتاعب والآلام التي تواجه الدعاة والمؤمنين.

ورود هذا الكم الكبير في القرآن المكي يدلل على مدى عناية الله بالمؤمنين، ولطفه بهم، وإرشادهم إلى الصبر

والتحمل، وعدم الضعف لتجاوز المحنة، والانطلاق بالدعوة إلى آفاقها العليا.

استمرارية الاستهزاء والسخرية في العهد المدني، دلالة على تبادل الأدوار ما بين أصناف الكفار والمعاندين، ودلالة على أن المؤمن في كل مراحل حياته القوة والضعف معرض للمحن والفتنة والمكر والإيذاء، وهذه دعوة إلى الحذر والتنبه.

وقوع صيغ المضارعة أكثر من غيرها دلالة على أن إيذاء الأعداء لا يتوقف أو سيستمر، وهذا فيه تحريض للمؤمنين والدعاة على التنبه والحذر وعدم الركون للدعة والهدوء، وأن هذا الاستهزاء وهذه السخرية سيستمران ما وجد الإيمان والكفر.

ا

الفصل الأول

أسباب الاستهزاء، وأقسام المستهزئين

إن الحديث عن الاستهزاء، والمستهزئين، يأخذنا أخذاً إلى الحديث عن أسباب الاستهزاء، وأقسام المستهزئين، وأسباب الاستهزاء كثيرة، منها ما كان داخلياً في نفس المستهزئ (نفسياً)، ومنها ما كان خارجياً عن إطار نفسه وروحه، لهذا يلزمنا أن نتعرف على هذه الأسباب بتفاصيلها الداخلية والخارجية، أيضاً يلزمنا معرفة أقسام المستهزئين، كل ذلك وغيره لنعرف ما نحتاج إلى معرفته عن طريق هذه الظاهرة السلبية في المجتمع.

وسيكون الحديث في هذا الفصل منقسماً إلى مبحثين، كما يلي:

المبحث الأول: أسباب الاستهزاء.

المبحث الثاني: أقسام المستهزئين.

المبحث الأول

أسباب الاستهزاء

أسباب الاستهزاء كثيرة، متعددة ومتنوعة، ولأن الاستهزاء أمر نفسي في غالب أحواله، لهذا فهو كثير الأنواع، كثير الأسباب، وذلك لكثرة تعدد النفسيات ورغباتها وبواعث حركاتها، ولأجل أن نقف عل حقائق الاستهزاء كان لزاماً أن نتكلم عن موضوع أسبابه، ونفصل فيها الحديث.

وسيكون حديثنا عن أسباب الاستهزاء من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الأسباب النفسية.

المطلب الثاني: الأسباب الطارئة.

المطلب الأول

الأسباب النفسية للاستهزاء

ويُقصد بالأسباب الداخلية، الأسباب النفسية الروحية، التي تنبعث من نفس وروح المستهزئ، والتي لا يكون بالضرورة تأثر فيها بمؤثرات خارجية. وحديثنا سيكون من خلال سبعة أفرع:

الفرع الأول

الحقد على الدين وأهله

من اليوم الأول الذي خلق الله فيه البشر، وهم ينقسمون إلى فريقين:

الأول. فريق الخير والصلاح.

الثاني. فريق الشر والفساد.

ولا لقاء بين الفريقين، إلا لقاء الجدال والتحاور أو التنافس والتصارع، لهذا يتمادى أهل الشر والضلال في شرهم وضلالهم، استكبروا حتى على خالقهم، وجحدوا به، وكفروا بآياته، قال تعالى: {**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**} (سورة الأعراف: الآية ٥٩-٦٠).

لقد علم هؤلاء الناس أن في إتباع دين الله تهديد حقيقي لكيانهم، ومصالحهم، وشهواتهم، وانحرافاتهم، لهذا حقدوا على كل الأديان، ولا فرق بين غني أو فقير، أو تابع ومتبوع في هذا الأمر.

لهذا لا غرابة إذن أن نرى من مواقف أعداء الإسلام حديثاً هذه الحروب الشرسة في كل المجالات وعلى كل الاتجاهات والأصعدة، اجتمعت كلمتهم وهم المختلفون، اجتمعت على حرب الإيمان والإسلام (١).

يقول الشيخ محمد القحطاني:" إن الحرص الشديد لأعداء الله على طمس وتشويه صورة الإسلام الناصعة أمر لا يجادل فيه إلا مكابر، لذا لا غرور إذا استخدمت السخرية والهزء سلاحاً فتاكاً لتشويه هذه الصورة، ونشر الضباب المعتم على وجهها المشرق، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون " (٢).

إن هذا الكره والحقد الذي يلقاه أهل الإيمان أتباع الرسل في كل زمان ومكان لهو مؤشر واضح يبين الخوف والهلع الذي يصيب الكفر وأهله من الإسلام، يستوي فيه المستكبرون والضعفاء، الحكام والمحكومين، المثقفون والعامة من الناس، قال تعالى: **{أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}** (سورة الذاريات: الآية ٥٣).

[1] انظر: محمد قطب: جاهلية القرن العشرين، ٢٧٠.
[2] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

يقول الدكتور العرابيد(١): " من المعلوم أن أهل الشر والفساد يزعجهم ويعكر صفوهم باطلهم وما هم عليه ما يرونه من تحلي الأخيار بالأخلاق والقيم الفاضلة، ولذلك يسعون جاهدين إلى تشويه سمعة الأخيار بكل الوسائل والتي منها الاستهزاء، والسخرية، وقد قص الله علينا قصة النبي لوط عليه السلام حينما كان سبب إخراجه هو العفة والطهارة، قال تعالى: **{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}** (سورة الأعراف: الآية ٨٢)، فعلى منطق هؤلاء المجرمين لا بد من تحويل المجتمع كله إلى مجتمع رذيلة وسقوط ودنس، أما أن يبقى في الأمة أصحاب طهر وعفة فهذا أمر لا يطيقه الأشرار: **{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** (سورة البروج: الآية ٨).

لهذا ما نراه اليوم من اجتماع الكثير من الكتاب، والقصاص والإعلاميين والفنانين وأهل الضلالات على تنوعها، لا غرابة من اجتماعهم على حرب الدين والاستهزاء به وبمثله العليا، إنه الحقد والكراهية".

---

[1] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

الفرع الثاني

الحسد

الحسد تمني زوال النعمة عن الغير، وكراهيتها لغيره. وعن هذا الأمر يقول الإمام الغزالي: " اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان:

إحداهما: أن تكره تلك النعمة، وتحب زوالها وهذه تسمى حسداً.

الثانية: ألا تحب زوالها، ولا تكره وجودها ودوامها، ولكن تشتهي لنفسك مثلها، وهذه تسمى غبطة.

فأما الأولى فهي حرام بكل حال إلا نعمة أصابها كافر، أو فاجر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات البين، وإيذاء الخلق، فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها، فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد "(١).

فالحاسد كما يقول الدكتور العرابيد(٢) "يريد أن يرى المحسود أقل درجة، وأسوأ حالة، فهو يعتقد أنه بتهجمه

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٨٩/٣.
[2] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

وسبه وتنقيصه، والاستهزاء به، والسخرية منه ينزل قدره ومقداره، لذلك كان تحذير رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من الحسد المهلك للأمم التي كانت قبلنا بقوله : "دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين"(١).

وأكثر من تمثل فيهم الحسد عبر التاريخ الإسلامي، اليهود والنصارى، قال تعالى: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}** (سورة البقرة: الآية ١٠٩).

ولأجل هذا الحسد من اليهود نجدهم لا يتورعون عن الأذى، والطعن في الدين، والسخرية والاستهزاء به وبأهله فنجدهم على مدار تاريخهم منذ زمن النبي عليه السلام، إلى يومنا هذا لا ينفكون عن هذه الرذيلة والدناءة.

ومما يؤسف له أن يصاب المسلم بهذا الداء الخطير، وهذا ما نشاهده في حياتنا الخاصة والعامة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إنه سيصيب أمتي داء الأمم، قالوا وما داء الأمم، قال:**

[١] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

الأشر، والبطر، والتكاثر، والتنافس في الدنيا، والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج"(١).

وقال ابن تيمية: "ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة، فيجمع بين أمرين قبيحين، الغيبة والحسد، وإذا أُثنى على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح، أو في قالب حسد وفجور وقدح، ليسقط ذلك عنه، ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب ليضحك غيره باستهزائه ومحاكاته واستصغاره للمستهزأ به" (٢).

والحسد مرض خطير من أمراض القلوب، أكثر ما يقع ضررها على الحاسد في الدنيا والآخرة.

أما كونه ضرر في الدنيا فهو سبب الآلام الجسدية والنفسية، من أمراض وكمد وغم لما فيه المحسود من نعمة، ازداد الحاسد حسرة وألماً وحزناً، حتى يضيق صدره فيموت هماً وكمداً.

[1] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.
[2] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

أما كونها خطيرة على الدين، لأن الحاسد بحسده يحصد غضب الله عليه، وذلك بسخطه على قضاء الله وقدره وعدله.

وهنا يصبح هذا الحاسد شريكاً للشيطان، وللكافر في كراهية الخير للمسلم، وكل هذه الأمور خبائث تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

ومما يجب أن نعرفه أن النعم لا تزول بالحسد، وقد ود الكفار أن تزول نعمة الإيمان عن المؤمنين قال تعالى: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ}** (سورة البقرة: الآية ١٠٩).

الفرع الثالث

الكبـــــر

عرّف الراغب الأصفهاني الكبر بقوله (١): " والكبر والتكبر والاستكبار تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجاب بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره ".

وأعظم التكبر على الله بالامتناع عن قبول الحق، والإذعان له بالعبادة، لهذا حذّر الله منه بقوله: **{كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}** (سورة غافر: الآية ٣٥).

ذكر العسقلاني عن الغزالي قوله: "الكبر على قسمين، فإن ظهر على الجوارح يقال تكبر، وإلا قيل في نفسه كبر، والأصل هو الذي في النفس، وهو الاسترواح إلى رؤية النفس، والكبر يستدعي متكبراً عليه يرى نفسه فوقه متكبراً به، وبه ينفصل الكبر عن العُجب فمن لم يخلق إلا وحدة يتصور أن يكون معجباً لا متكبراً" (٢).

---

[١] الأصفهاني: المفردات،٦٩٧.
[٢] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري١٠/٥٠٥.

ولقد أكثر النبي عليه السلام من التحذير من الكبر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"(١).

والكبر من أكبر أسباب الإعراض عن دين الله تعالى قديماً وحديثاً، وهو سبب في النيل من أعراض الناس، والطعن فيهم يقول الإمام الغزالي: "السخرية والاستهزاء استحقار فإن ذلك يجري في الحضور ويجري في الغيبة، ومنشؤه التكبر، واستصغار المستهزأ به" (٢).

ولقد ورد الكبر الذي بمعنى الاستعلاء في القرآن الكريم بما يزيد عن ستين مرة، منها قول الله تعالى: **{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ}** (سورة إبراهيم: الآية ٢١).

إن المتأمل في كتاب الله (القرآن الكريم) يجد أن الأمم التي ابتليت بداء الكبر والإعراض عن دعوة الرسل عليهم

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، رقم (٩١)، ٢٦٧/١.
[2] الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٤٧/٣.

السلام بل والسخرية والاستهزاء بهم وبما جاءوا به من عند الله تعالى من الدين الحق، السبب الأكبر عندهم كان في عدم قبول الحق والانقياد له هو الاستكبار، قال تعالى: **{فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ}** (سورة النحل: الآية ٢٢).

فالكبر هو حال الأكثرين كما حال الأمم السابقة قوم نوح وعاد وقوم صالح وفرعون، وقريش وغيرهم قديمهم وجديدهم.

الفرع الرابع

النفـــــاق

عرّف العلماء النفاق بأنه (١): إظهار الإسلام وإبطان الكفر، ولفظة المنافق لفظة إسلامية، ظهرت مع وجود المسلمين في المدينة المنورة، ولم تكن من قبل.

وللنفاق بواعث من أهمها (٢):

- اعتقاد الكفر، وكراهية الإسلام.
- وجود المنافقين تحت هيمنة الإسلام.
- ضعف المنافق عن مواجهة المسلمين بالعقيدة التي يخفيها في نفسه.

يقول الشيخ الدوسري:" سبب النفاق أغراض نفسية تجيش في الصدور، تمنع أهلها من قبول الحق، وتدفعهم إلى معاداة أهله، والذي يبثها ويغذيها في كل زمان ومكان هو اليهودية العالمية المفسدة لكل المجتمعات"(٣).

---

[١] انظر: النفاق وأثره في حياة الأمة: سلام ١٧.
[٢] انظر: المصدر السابق، ٢١.
[٣] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

وأسباب النفاق كثيرة:

- ظلمة في الطبع.
- ظلمة الهوى.
- ظلمة الشهوات.
- ظلمة الطمع والجشع.
- ظلمة حب الرئاسة.
- ظلمة الشهوة.
- ظلمة الحقد والحسد والغواية.

يقول الدكتور العرابيد: "النفاق هو الوجه الآخر للكفر، وقد قرن الله بين المنافقين والكفار في الصد عن سبيله، وفي السخرية والاستهزاء بدينه، قال تعالى: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}** (سورة النساء: الآية ٥٧).

فالنفاق حليف الكفر وربيبه، فهم اجتمعوا على الاستهزاء بآيات الله في الدنيا، فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم القيامة.

لقد فضح الله تعالى هذه الفئة المارقة، الذين اتخذوا الإيمان ستاراً يسترون به فضائحهم، ولذلك كان التهديد الرباني لهم بقوله: **{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ}** (سورة التوبة: الآية ٦٤).

إن أول موطن ظهر فيه النفاق كان في المدينة المنورة، التي اجتمع فيها اليهود وأصحاب الهوى والطمع، والمنافق حاله ليس كحال الكافر الصريح، ولا هي كحال المؤمن الخالص، فهو لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، فالكافر واضح صريح يتصف بالشجاعة في الإعلان عن موقفه والعناد والمكابرة، أما المنافق الذي يلبس زي الصديق، ويتكلم بلسانك، ويظهر لك التدين والوطنية، والإخلاص وهو في نفس اللحظة يحمل في قلبه مخزون خطير من الحقد والحسد، والغيظ على المسلمين والإسلام، بحيث يزيد على الكافر في ضرره وخطره، قال تعالى: **{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ}** (سورة التوبة: الآية ٥٨).

لقد فضحهم القرآن الكريم، والسنة النبوية، لهذا قليلاً ما تخلو سورة من السور المدنية إلا وتحدثت عنهم، أو تعرضت لذكرهم، حتى أن الله سمّى سورة من القرآن بصفتهم (المنافقون) (١).

يقول الشيخ عبد الوهاب: "وقد وصف الله المنافقين في كتابه بالفصاحة، والبيان، وحسن الصورة، كذلك وصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين، ووصفهم بالكلام ذي الوجهين ووصفهم بالدخول في المخاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسوله، كذلك وصفهم باستحقار المؤمنين، كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الأوصاف، ومن تلبّس بها"(٢).

فالاستهزاء من قبل المنافين أمر معلوم، وظاهرة قديمة حديثة، إذ الدافع لهذا الاستهزاء منهم هو النفاق، استجابة لما يريده إخوانهم اليهود والمشركون (٣).

[1] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.
[2] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.
[3] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

الفرع الخامس

الجهـــــــل

الجهـل فـي اللغـة: عرّف ابن منظور الجهل: الجهل نقيض العلم، وقد جهله فلان جهلاً، وجهالة، وجهل عليه، والتجهيل: أن تنسبه إلى الجهل، والجهالة: أن تفعل فعلاً بغير العلم، والمجهلة: ما يحملك على الجهل، والجاهلية: هي الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب والكبر وغير ذلك (١).

أما عند أهل الاصطلاح فالجهل هو (٢):

- خلو النفس من العلم.
- أو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه.
- أو فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل.

يقول ابن القيم:" أجمع الصحابة على أن كل من عُصي الله به فهي جهالة، وكل من عصى الله فهو جاهل، ويسمى

---

[1] لسان العرب: ابن منظور، ٥٢٤/١.
[2] المفردات: الأصفهاني، ٢٠٩، والكليات: أبو البقاء الكفوي، ٣٥٠.

عدم مراعاة العلم جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به فنزل منزلة الجهل، إما لجهله بسوء ما تجني عواقب فعله" (١).

إذا عرفنا هذا تبَين لنا أن المستهزئ بالدين وشعائره، فضلاً عن الاستهزاء بالله تعالى، لا يقع هذا الجرم العظيم منه إلا عن جهل، وهذا الجهل إما أن يكون من جهة المستهزأ به، فلا يعلم ما يجب لله تعالى ورسوله والدين الإسلامي من التعظيم والإجلال والتوقير والاحترام.

وإما أن يكون الجهل من جهة حكم الاستهزاء فلا يتصور المستهزئ أنه باستهزائه يخرج من دائرة الإسلام ويدخل في دائرة الكفر.

والجهل يكون مبعثه المكابرة كحال كثير من العلمانيين والشيوعيين (٢).

ولقد وردت لفظة الجهل في القرآن بكل مشتقاتها فيما يزيد على خمس وعشرين مرة، منها قوله تعالى: **{قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}** (سورة البقرة: الآية ٦٧).

---

[١] مدارج السالكين: ابن القيم، ٤٦٩/١.
[٢] الاستهزاء بالدين: القرشي، ١٠٥.

وجه الاستدلال: الآية فيها دليل على منع الاستهزاء بالدين وأهله وأن المستهزئ بالدين وأهله جاهل مستخفٍ بوعد الله تعالى ووعيده.

يقول رشيد رضا تعليقاً على قوله تعالى: "{قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا} أي سخرية يهزأ بنا، وهذا القول من سفههم وخفة أحلامهم وجهلهم بعظمة الله تعالى" (١).

[1] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

الفرع السادس

ضعف الإيمان والعقل

أجمع أهل العلم على أن الإيمان يزيد وينقص، ولم يخالف في ذلك أحد، قال تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**} (سورة الأنفال: الآية ٢).

وقوة الإيمان أو ضعفه ناشئ عن قوة ما في القلب من هذه الأعمال، أو ضعفها، وقد يضعف ما في القلب من الإيمان حتى يكون وزن ذرة، فبقدر ما يكون في القلب من الإيمان تكون الأعمال الظاهرة التي هي داخلة في مسماه (١).

قال ابن القيم: "فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى، فالمؤمن عزيز غالب، مؤيد منصور، مكفي مدفوع عنه بالذات أين كان،

[1] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهراً أو باطناً"(١).

ويقول سيد قطب:" فما يستهزئ بدين الله وعباده المؤمنين به إنسان سوى العقل، فالعقل حين يصح ويستقيم يرى في كل شيء من حوله موجبات الإيمان بالله، وحين يختل وينحرف لا يرى هذه الموجبات لأنه حينئذٍ تفسد العلاقة بينه وبين هذا الوجود كله، فالوجود كله يوحي بأن له إلهاً يستحق العبادة والتعظيم، والعقل حين يصح ويستقيم يستشعر جمال العبادة لإله الكون وجلالها، كذلك فلا يتخذ هزواً ولعباً وهو صحيح مستقيم "(٢).

بهذا نعلم أن الاستهزاء بالله ورسوله والوالدين والمؤمنين لا يكون من عاقل صاحب عقل واعٍ بل هو ناتج عن صاحب عقل عُطل عن العمل والتفكير، وهذا باعث من بواعث الاستهزاء بالدين وبالله ورسله.

---

[١] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ص، ٢٢.
[٢] في ظلال القرآن: سيد قطب، ٩٢٢/٢.

الفرع السابع

حب المال

كثيراً ما أشار القرآن إلى المال، وكثيراً ما حذرنا من فتنته والاغترار به وبكثرته، قال تعالى: **{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}** (سورة الأنفال: الآية ٢٨).

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**" [١].

قال الإمام الغزالي: "فإن فتن الدنيا كثيرة الشُعب والأطراف، واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأعظم محنها، وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها، ثم إذا وجدت فلا سلامة منها، فإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً، وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة أمره إلا خسراً، والمال فيه آفات وغوائل للإنسان، من فقده وصفه بالفقر، ومن وجده

[١] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

وصفه الغنى، وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان" (١).

لهذا فإن حب المال وإيثاره على ما عند الله قد يصل بصاحبه إلى حد العبودية للدرهم والدينار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي وإن لم يعطَ لم يرضَ**" (٢).

لهذا لا غرابة أن يكون المال هو أحد الدوافع الكبيرة لكل جريمة أو انحراف، فلا قيمة للعفة والفضيلة والقيم أمام حب المال والحرص على جمعه والافتخار به.

يقول العرابيد:" قد يحرص البعض من الناس على جلب المال بأي صورة كانت حتى ولو كان الأمر يتعلق بالسخرية والاستهزاء بالدين كما فعل ويفعل بعض الممثلين الهابطين الساقطين في عصرنا الحاضر مقابل حفنة من الأموال، فقد أصبحت السخرية بالدعاة فناً وبطولة ونجومية عند من لا يعقل، حتى أصبح هذا الهزل يردد ويكرر عند بعض العوام،

---

[1] القحطاني: الاستهزاء بالدين وأهله، ٢٢.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٦٤٣٥)، كتاب (الرقاق)، باب، (ما يتقى من فتنة المال)، ٢٠٢١/٤.

وصدق الله العظيم بقوله: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}** (سورة لقمان: الآية ٦).

وقال تعالى: **{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَه، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ}** (سورة الهمزة: الآية ١-٤) (١)

---

[1] محنة السخرية والاستهزاء: العرابيد، ٤٥٢.

المطلب الثاني

الأسباب الطارئة للاستهزاء

تعرفنا في المطلب الأول على الأسباب النفسية (الداخلية)، للاستهزاء عند المستهزئين، وعرّفنا بها، وبينّا خطورة كل واحدة منها، وكيف النجاة والخلاص منها، وفي هذا المطلب أتحدث عن الأسباب الطارئة (الخارجية)، للاستهزاء، **وسيكون ذلك من خلال أربعة أفرع:**

الفرع الأول

التقليد الأعمى للأمم السابقة

التقليد هو إتباع الإنسان غيره فيما يقول من غير نظر أو تأمل، أو استقلال في الرأي.

وقيل هو ما تسلمه الناس وتداولوه خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل من شرائع، وعادات، وأساليب العمل والحياة، ويُجمع على تقاليد، والتقليدي هو المزيّف (١).

لهذا جاء ذم التقليد في القرآن الكريم حيث قال تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}** (سورة البقرة: الآية ١٧٠).

قال ابن القيم:" أخبر الله عن بطلان هذه الحجة، وأنها لا تنجي من عذاب الله تعالى، لأنها تقليد من ليس عنده علم، ولا هدى من الله: (٢).

---

[1] الهادي إلى لغة العرب: الكرمي، ٥٥٨/٣.
[2] بدائع الفوائد: ابن القيم، ١٤٦/٤.

ولم تنج الأمة الإسلامية من تقليد غيرها من الأمم حيث قال تعالى: **{كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}** (سورة التوبة: الآية ٦٩).

يعلق ابن تيمية على الآية الكريمة قائلاً: "جمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق، وبين الحوض، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق "(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، فقيل يا رسول الله كفارس والروم، فقال ومن الناس إلا أولئك" (٢).

ومما قلدت الأمة فيه غيرها السخرية، والاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من الدين الحق،

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية، ٤٠١/١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٧٣١٩)، كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة)، باب: (لتتبعن من كان قبلكم)، ٢٢٨٥/٤.

قال تعالى: **{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}** (سورة الأنعام: الآية ١٠).

ولقد نهى الله الأمة عن كثير من أعمال أهل الكتاب، ومنها الاستهزاء والسخرية، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (سورة البقرة: الآية ١٠٤).

قال الدكتور صالح: "فإذا كان التحول عن الذاتية، وأصالة التغيير إلى التقليد حتى في المصطلح الذي اتخذه اليهود في خطابهم للنبي، يجابه بالنهي الصريح، والأمر باستعمال البديل، فكيف بالتقليد الأعمى عندما يكون على صعيد المنهج في المعتقد، والعمل والسلوك، مما له تعلق وصلة بشيء من أمور العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق "(١).

إن المتابع لأحوال الأمة اليوم يراها قد تركت كل ماله علاقة بأصالتها، وجرت وراء أعدائها تقلدهم في كل صغيرة وكبيرة، المأكل والمشرب والملبس وأساليب الحياة والتعليم والتجارة والإدارة والعلاقات العامة، حتى أصبحنا لا نعرف، هل نحن عرب مسلمون أم مسخ متفرنج متغرب، ومع هذا

---

[١] اليهود في القرآن والسنة: الصالح، ٧٨/٢.

الانحدار والاستصغار للذات، لا نرى غيرنا يقلدنا في شيء، فللأسف لا بقيت لنا أصالتنا ولا قبلنا من ضيعا ديننا من أجلهم.

يعلق الدكتور العرابيد على قوله تعالى: **{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}** (سورة الذاريات: الآية ٥٢-٥٣). قال "لقد وصل هذا التواصي لمن مسخت عقولهم وفتنوا بالحضارة الغربية أو الشرقية في عصرنا الحاضر فأخذوا ينعقون بسخرية واستهزاء بمن يطالب بتحكيم شرع الله، ويصفون تلك الشرائع بشريعة البتر والقطع، والقمع والرجم".

الفرع الثاني

الانحراف العقدي في حياة الأمة

جاء الإسلام فأصلح عقيدة الناس، فعاشوا حياة سليمة من ناحية العقيدة، وصفاء التصور، وسمو الأخلاق، لكن الأيام دول تتغير، فتتغير معها حياة الناس، ويطرأ على عقائدهم، وتصوراتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم من التغيير والتبديل، وخصوصاً إذا كانت هذه الأمة مستهدفة من قبل أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر.

لهذا ظهر في عالمنا الإسلامي الكثير من الأفكار والتصورات والمعتقدات، والسلوكيات أظهرت الفرق الضالة الزائفة التي شتتت وحدة الأمة الفكرية والتصورية، إلا أن الإسلام الصحيح كان أسرع في كشف زيف وبطلان كل هذه الأفكار، ومن ينادون بها (١).

إلا أنه كلما بَعد العهد بالمسلمين عن زمن النبوة الصافي، كلما ضعفت قوة المسلمين، وضعف صمودهم

---

[1] الاستهزاء بالدين: القرشي، ١٤٥.

أمام التيارات الوافدة، لهذا أخذت الأمة تتراجع شيئاً فشيئاً، حتى أصبح مفهوم ديننا ينحصر في نطاق الشعائر التعبدية.

ولقد كان نتيجة هذا الفهم الضيق للعبادات في الإسلام أن:

- فقدت الشعائر التعبدية الروح الإيمانية، وأصبحت تؤدى بشكل تقليدي مفرغ من المضمون.
- تهاون الناس في بقية جوانب الدين الأخرى، معاملات، وأخلاق، وعقائد.
- الاهتمام بالعبادة في شكلها العام، ولم يعد يهم المضمون والجوهر.

كل هذا وغيره أثر بشكل واضح على نظرة الناس إلى الدين، فنحن نرى هنا وهناك صوراً جميلة لرجل أو امرأة، لكنها مفرغة المضمون، بلاد تمتلئ بالمساجد الكبيرة، ومصلّون يتسابقون إلى الصلاة وشهر رمضان، صائمون يصومون، وحج، حجاج يفدون من كل فج عميق، الشكل والصورة والمظهر جميل في غاية الجمال، إلا أن الكم الكبير مفرغ من الأخلاق الحقيقية للدين، فُقد الإخلاص والولاء الحقيقي، انعكس كل ذلك على الدين وعقائده، وكأننا بهذه السلوكيات نسخر من ديننا وشريعتنا ونهزأ بكل قيمة طيبة.

الفرع الثالث

ضعف سلطان العلماء

العلماء هم ورثة الأنبياء، وحملة الشريعة ودعاة الخير والصلاح، فمنزلتهم في الإسلام منزلة لا يبلغها أحد غيرهم، وصفهم الإمام أحمد بن حنبل فقال: يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغاليين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة (١)

لقد كانت مهمة العلماء لا تقتصر فقط على تعليم الناس أمور الدين والشريعة، إنما هي الرقابة الكاملة، والحراسة الشديدة لكل مجالات الحياة سواء كانت علمية أو عملية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، وهذه من

[1] الرد على الجهمية والزنادقة: الدارمي، ٥٢.

الفروق الكثيرة بين علماء الدين في الإسلام ورجال الدين في الديانات الأخرى.

إلا أنه ومع توالي الزمن وانسلاخ السلطة التنفيذية عن المنهج الإسلامي الحقيقي، بدأ ينهار كيان وصورة العلماء، وتأثيرهم في الحياة العامة والخاصة، وفي زماننا بلغت الأمور منتهاها من الانحدار وأصبح العلماء في المجتمع هامشيين، لا يُعتد بهم ولا بكلامهم، ولا بمواقفهم، لا في أمور الدين ولا في أمور السياسة، أو الحرب أو السلم، والحكم والاقتصاد وغيرها يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن:" وقد كثر الهرج وخاضت الأمة في الأموال والدماء، واشتد الكرب والبلاء، وخفي الحق والهدى وفشي الجهل والهوى، وكثر الخوض والردى وغلب الطغيان والعمى، وقل التمسك بالكتاب والسُنة، بل قل من يعرفهما ويدري حدود ما أنزل الله من الأحكام الشرعية " (١).

هذا الضعف الذي أصاب العلماء، كان من أعظم الأسباب لكثرة الاستهزاء والسخرية بدين الإسلام، من قبل

---

[١] الدرر السنية: بن قاسم، ٢٤٠/٨.

الزنادقة والملحدين ومن لا خلاق لهم في الآخرة من المسلمين الذي يفعلونه بقصد وبدون قصد.

ويعلق الشيخ الشوكاني على قوله تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ}** (سورة آل عمران: الآية ١٨٧)، يقول الشيخ:" وبخ الله الخاصة وهم العلماء التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما هو أغلظ وأشد من توبيخ فاعل المعاصي، فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم : **{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** (سورة المائدة: الآية ٦٢)، وليفرجوا لها عن قلوبهم، فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها لا يسمن ولا يغني من جوع، بل هم أشد حالاً وأعظم وبالاً من العصاة، فرحم الله عالماً قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو أعظم ما افترضه الله عليه وأوجب عليه النهوض به "(١)

---

[1] الفتح القدير: الشوكاني، ٥٥/٢.

الفرع الرابع

تعطيل حد الردة على المستهزئين والزنادقة والمرتدين

إن حياة الشعوب عموماً، والمسلمين على الخصوص، لا يمكن أن تستقيم بدون حاكم يسوسهم بشريعة الله، ويحكمهم بأحكامها المستنبطة من كتاب الله، وما صح من سُنة نبيه عليه السلام وفق شروط وضوابط القضاء الشرعي الإسلامي.

لهذا حينما تعطل ذلك وقع من الانحرافات الكثيرة في حياة المسلمين، وفي دينهم، حتى تم تشويه هذا الدين من قبل الأعداء الخارجين، والأعداء الداخلين، بدعوى التقدم والتطور، وأن أحكام هذا الدين لا تتماشى مع التطور الذي يعيشه العالم اليوم.

لهذا يركّز الإسلام كثيراً على إقامة الدولة المسلمة، التي تقوم على الشورى والعدل والمساواة والرحمة والتي يقوم عليها حاكم مسلم له على أمته حق الطاعة والسمع.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما**

أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[1].

وحق الأمة على الحكام كثيرة ومتعددة ليس هذا مكان تفصيلها.

وهكذا شيئاً فشيئاً أخذت أحكام الشريعة تبتعد قليلاً، قليلاً عن واقع حياتنا ومحاكمنا وقضائنا، بدعوى التطور ومواكبة العصر والديمقراطية وحقوق الإنسان، وكلام كثير، وبدأ الكثير من المستشرقين يتسللون إلى مراكز السلطة والتأثير في التعليم والسياسة والاقتصاد والإعلام والصحافة، حتى تمكنوا ومعهم جحافل من المطبلين والمزمرين والمصفقين حتى تمكنوا من حجب قوانين وشرائع الإسلام وإحلال القوانين والتشريعات الغربية والأوروبية بدلاً منها، وأصبحت بلاد العرب والمسلمين يحكمها القانون الأوروبي، فتعطلت كثير من أحكام الحدود، ومن ضمنها حد الردّة فيمن ينقض شيئاً من أسس وعقائد هذا الدين كالاستهزاء والسخرية بالله ورسوله ودينه والمؤمنين.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٧١٤٤)، كتاب (الأحكام)، باب: (السمع والطاعة للإمام)،٢٢٣٢/٤.

فلما تعطّل هذا الحد وغيره، تجرأ البعض على الدين وعلى الرسول، فانتشرت الكتب والصحف والرسوم والأقلام والمسرحيات والمسلسلات التي تتعرض لله ورسوله ودينه بكل النقائض دون رادع أو منتقم.

إنه للخروج من هذا المأزق الذي تقع فيه الأمة، وإذا أرادت وأراد حكامها تحقيق الأمن والاستقرار والرخاء فعليهم أن يخضعوا لشريعة الله تعالى التي لا نقص فيها، ولا قصور، وليقيموا الحدود الشرعية، ففيها منافع عظيمة، ومصالح جليلة، من أكبرها إزالة الفساد من الأرض ونشر الخير والرزق الذي بسببه صلاح الاقتصاد الذي تدهور بسبب الربا (١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة في بلاد الله عز وجل" (٢).

بهذا الحديث الشريف والمعبر أنهي كلامي عن الأسباب الخارجية للاستهزاء بدين الله تعالى، ورسوله والمؤمنين.

---

[١] انظر: الاستهزاء بالدين وأهله: القرشي، ١٥٣.

[٢] أخرجه النسائي في سننه: كتاب (قطع السارق)، باب: (الترغيب في إقامة الحدود)، ٣٣٥/٤.

المبحث الثاني

أقسام المستهزئين

كما تعرّفنا من خلال المبحث السابق على أسباب الاستهزاء الداخلية النفسية، والخارجية، كان من الضروري حتى تستكمل الدراسة أركانها أن نتناول بالبحث أقسام المستهزئين، حتى نتمكن من كشف اللثام عنهم، وعن أغراضهم، وتوجهاتهم، وبالتالي كيفية التعامل معهم.

وسيكون حديثي في هذا المبحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المستهزئ الكافر.

المطلب الثاني: المستهزئ المنافق.

المطلب الثالث: المستهزئ المسلم.

المطلب الأول

المستهزئ الكافر

الكافر في اصطلاح العلماء المسلمين: هو الإنسان الذي يتبع ديناً غير دين الإسلام (١).

يقول تعالى: **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** (سورة آل عمران: الآية ٨٥).

هؤلاء الكفار بالنسبة لنا ليسوا سواء من ناحية التعامل والعلاقة، أما من ناحية العقيدة فهم سواء.

فمنهم المشرك الذي ليس بيننا وبينه إلا أمر من أمرين إما الإسلام، وإما السيف.

ومنهم أهل الكتاب اليهود والنصارى، وهؤلاء ينقسمون فيما بينهم بالنسبة لنا إلى قسمين:

- محاربين
- معاهدين (أهل الذمة).

في هذا المطلب سأتحدث عن المستهزئ الكافر من خلال الفرعين التاليين:

---

[1] القاموس الفقهي: أبو حبيب، ٣٢١.

الفرع الأول

المستهزئ الحربي

أولاً. الحربي هو: "كل إنسان كفر بالإسلام، وناصب المسلمين العداء قولاً وفعلاً، أو ناصر أعداء المسلمين قولاً أو فعلاً" (١)، وقد أمر الله بقتالهم في قوله تعالى: **{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}** (سورة الحج: الآية ٣٩)، ثم جعل قتالهم فرضاً على المسلمين حين قال تعالى: **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** (سورة البقرة: الآية ١٩٠).

وبناء على ذلك فإن الكافر الحربي إذا صدر منه استهزاء أو سخرية أو طعن في دين الله أو رسوله فعليه القتل إن ظُفر به.

قال الإمام مالك: "من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قُتل ولم يستتاب"(٢).

وقال ابن رشد: "من سب النبي عليه السلام أو عابه أو نقصه بشيء من الأشياء يُقتل ولا يُستتاب، مسلماً كان أو

[1] القاموس الفقهي: أبو حبيب، ٨٤.
[2] الشفا: عيّاض،١٠٨٧/٢.

كافراً"(١). هذا مذهب المالكية فيمن يستهزئ بشيء من دين الله أو رسوله من الكفار الحربيين.

أما مذهب الإمام أحمد رحمه الله فقد نص هو الآخر على قتل الكافر الحربي إذا نال من دين الله بأي أسلوب من أساليب الاستهزاء والسخرية فقال: "كل من ذكر شيئاً يعرض بذكر الرب تبارك وتعالى فعليه القتل، مسلماً كان أو كافراً، هذا مذهب أهل المدينة (٢).

وقال ابن تيمية: "كل من شتم النبي أو تنقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل" (٣).

وقال في موضع آخر: أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله، هذا ما ذهب إليه عامة أهل العلم، قال ابن المنذر: "أجمع عوام أهل العلم على أن حدّ من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم القتل وممن قاله: مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي"(٤).

---

[١] البيان والتحصيل: ابن رشد، ٣٩٨/١٦.
[٢] أحكام أهل الذمة: ابن القيم، ٧٩٢/٢.
[٣] الصارم المسلول: ابن تيمية، ص ١٠.
[٤] المصدر السابق: ص ٣.

الفرع الثاني

المستهزئ المعاهد أو الذمّي

كما سبق بيانه فإن الكفار ينقسمون إلى قسمين [1]:

- أهل حرب.
- أهل عهد، وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

١. أهل ذمة.

٢. أهل هدنة.

٣. أهل أمان.

أولاً. أهل الذمة: وهم الذين يقيمون في ديار المسلمين والإسلام ويعاهدونهم على دفع الجزية، وتجري عليهم أحكام الإسلام.

ثانياً: أهل الهدنة: وهم الذين صالحوا المسلمين على أن يبقوا في ديارهم، ولا تجري عليهم أحكام الإسلام، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، أو معاونة غيرهم ممن يحارب المسلمين.

[1] أحكام أهل الذمة: ابن القيم، ٢/٣٧٦.

ثالثاً: أهل أمان: وهم الذين يقدمون إلى ديار المسلمين من غير إقامة وهم إما: رسل، أو تجار، أو مستجيرون، أو طلاب حاجة من زيارة أو غيرها، وهؤلاء لا تؤخذ منهم جزية ولا يقتلوا أو يُهجروا.

هؤلاء جميعاً من طعن منهم في دين الله أو سب الله أو رسوله يعتبر ناقضاً للعهد والذمة، حل دمه، وحل ماله، وبرئت منه ذمة المسلمين.

وقد استدل العلماء على جواز قتله بأدلة من القرآن الكريم والسُنة النبوية.

أولاً. القرآن الكريم:

١. قال تعالى: **{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ}** (سورة التوبة: الآية ١٢).

وجه الدلالة: الطعن في الدين، أن ينسب إليه ما لا يليق به أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه [١].

---

[١] انظر: أحكام القرآن: ابن العربي، ٩٠٥/٢.

قال القرطبي: " أكثر العلماء على أن من سب النبي عليه السلام من أهل الذمة أو عرّض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فإنه يقتل، فإنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا، إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما قالوا يعزّر ويؤدب " (١).

٢. قال تعالى: **{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** (سورة التوبة: الآية ١٣).

وجه الدلالة: الذمي إذا أظهر سب النبي فقد نكث العهد وفعل ما هو أعظم من الهم بإخراج الرسول وبدأ بالأذى فيجب قتاله (٢).

٣. قال تعالى: **{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** (سورة التوبة: الآية ١٤-١٥).

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٥٥/٨.
[2] انظر: أحكام أهل الذمة: ابن القيم، ٨٢١/٢.

وجـه الدلالـة: شفاء الصدور الحاصل من ألم النكث والطعن.

ثانياً. السُنة النبوية:

ومما استدل بـه العلماء القائلون بقتل الكافر المستهزئ أدلة من السُنة منها:

١. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل الرسول صلى الله عليه وسلم دمها [١].

وجه الدلالة: أن المرأة اليهودية قُتلت، وأبطل النبي دمها والسبب أنها كانت تشتم النبي وتتعرض له.

٢. ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من لكعب بن الأشرف، فإنه آذى الله ورسوله**"[٢].

وجه الدلالـة: يقتل الذمي إذا سب النبي صلى الله عليه وسلم وتبرأ منه الذمة [٣].

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه: ح (٤٣٦٢)، كتاب (الحدود)، باب (الحكم فيمن سب النبي)، ١٢٧/٤.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه:ح (٣٠٣١)، كتاب (الجهاد)، باب (الكذب في الحرب)، ٩٣٠/٢.

[٣] انظر: معالم السنن: الخطابي، ٥٢٩/٤.

أما أقوال العلماء أصحاب المذاهب الأربعة، قالوا يُقتل الذمي الذي يسب النبي عليه السلام، إلا أبا حنيفة قال: يُؤدّب ويعزر على ذلك (١).

[1] انظر: الصارم المسلول: ابن تيمية، ١٠.

المطلب الثاني

المستهزئ المنافق (الزنديق)

عرّف العلماء المنافق بقولهم :(الذي يُظهر الإيمان قولاً، ويضمر الكفر اعتقاداً، ويُطلقون عليه الزنديق، وجعلهم الله شراً من الكافرين في العذاب لاستهزائهم بالدين) (١).

فإذا وقع من أحد هؤلاء المنافقين طعن واستهزاء وسخرية بالله تعالى أو رسوله أو دينه أو انتقص أحداً من صحابة النبي عليه السلام، حكمهم القتل، لأن فعلهم هذا مخرج لهم من الملة، فهو منافق اعتقادي.

وقد استدلوا على ذلك بأدلة من القرآن الكريم، والسُنة النبوية، وأقوال العلماء:

أولاً. القرآن الكريم:

قال تعالى: {**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ**

---

[1] أبو حبيب: القاموس الفقهي، ٣٥٧.

وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} (سورة التوبة: الآية ٧٤).

وجه الدلالة: قال ابن تيمية: "إنه دليل على أن المنافقين إذا لم يتوبوا عذبهم الله في الدنيا والآخرة" (١).

وقال الطبري: "وعذاب الدنيا الذي توعد الله به المنافقين هو القتل إن هم أظهروا ما في صدورهم من الحقد على الإسلام وأهله" (٢).

قال تعالى: **{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ}** (سورة التوبة: الآية ٥٢).

وجه الدلالة: قيل المراد في قوله ﴿**أَوْ بِأَيْدِينَا**﴾ يعني القتل إن أظهرتم ما في قلوبكم من الحقد والحسد، وتلفظتم بما يوجب الكفر والقتل بالسيف (٣)

قال تعالى: **{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا، سُنَّةَ**

---

[١] ابن تيمية: الصارم المسلول، ٣٥٧.

[٢] الطبري: تفسير جامع البيان، ٣٨٩/٦.

[٣] البغوي: معالم التنزيل، ٣٠٠/٢.

اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}

(سورة الأحزاب: الآية ٦١-٦٢).

وجه الدلالة: قال القرطبي: "سن الله عز وجل فيمن أرجف بالأنبياء، وأظهر نفاقه أن يؤخذ ويُقتل" (١).

ثانياً: السُنة النبوية:

١. ما رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة، فقال عمر: إنه خان الله والمؤمنين، فدعني لأضرب عنقه، فقال أي النبي، صلى الله عليه وسلم: " **أليس من أهل بدر، فقال: لعل الله أطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم**"(٢)، وفي رواية مسلم: فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق.

وجه الدلالة: قال ابن تيمية: " دل على أن ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع، إذ لم ينكر النبي على عمر استحلال ضرب عنق المنافق، ولكن أجاب بأن هذا

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ١٥٩/١٤.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٣٩٨٥)، كتاب (المغازي)، باب فضل (من شهد بدراً)، ١٢١٥/٣.

ليس بمنافق ولكن من أهل بدر المغفور لهم، فإذا أظهر النفاق الذي لا ريب أنه نفاق فهو مباح الدم"(١).

٢. ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها في قضية الافك وفيه: فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أُبي بن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: "**يا معشر المسلمين، من يعذرني في رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، ما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله وأنا أعذرك فيه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك**"(٢).

وجه الدلالة: قال الحافظ العسقلاني: "وفيه أن من آذى النبي صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل يُقتل، لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم "(٣).

---

[١] الصارم المسلول: ابن تيمية: ٣٥٨.
[٢] أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٤٧٥٠)، كتاب (التفسير)، باب :(الولاء إذا سمعتموه ...)، ١٤٧٤/٣.
[٣] فتح الباري: العسقلاني: ٣٨٥/٩.

٣. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: **كنا في غُزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجر يا للمهاجرين، فسمّعها الله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما هذا؟، قالوا كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجر يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها نتنة"، قال جابر بن عبد الله: وكانت الأنصار حين قدم النبي أكثر ثم كثر المهاجرين بَعدُ فقال عبد الله بن أبي أو قد فعلوا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"**[١].

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أن قتل المنافق كان جائزاً، إذ لولا ذلك لأنكر النبي على من استأذنه في قتل المنافق، ولأنكر على عمر قولته التي قالها.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٤٩٠٧)، كتاب (التفسير)، باب: (يقولون لئن رجعنا)،١٥٦٤/٣.

المطلب الثالث

المسلم المستهزئ

من المصائب العظيمة أن الاستهزاء بالدين وأهله ورسوله انتقل من الكفار والزنادقة إلى المسلمين، فوجدنا الكتاب والإعلاميين والفنانين وكثير من المشاهير يستسهلون النيل من الدين، وأهله والنبي وأصحابه وهذا الأمر مما تتألم له النفس ألماً كبيراً.

حديثي عن هذا الموضوع سيكون من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول

إمكان وقوع الاستهزاء من المسلم

لقد أقام الإسلام العلاقة بين المسلمين فيما بينهم على الأخوة الإيمانية، والتحابب، والتراحم والتوادد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**حق المسلم على المسلم خمس، رد السلام، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**"(١).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقال: "**ألا تدرون أي يوم هذا، قالوا الله ورسوله أعلم، قال حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس بيوم النحر، فقلنا بلى يا رسول الله، قال: أي بلد هذا أليس بالبلد الحرام؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلّغت، قلنا: نعم، قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رُب مبلغ يبلغه من**

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب الأمر بإتباع الجنائز، رقم (١٢٤٠)، ٣٧٢/١.

هو أوعى به، فكان كذلك، فقال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"(١).

وجه الدلالة في الأحاديث السابقة:

بيان حق المسلم على المسلم، وبيان حدود العلاقة بينهم، ما له وما عليه.

ومن الأمور التي قد تحدث، وقد حدثت زمن النبي عليه السلام أن يكفر المسلم بعد إسلامه، أو يُحدث أعمالاً أو أقوالاً تنقض عرى الإيمان عروة، عروة، كالاستهزاء بالله أو رسوله أو الدين أو المؤمنين.

وقد قالها بعض أصحاب النبي أثناء غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء (٢)، فأنزل الله تعالى: **{لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}** (سورة التوبة: الآية ٦٦).

إذن فما دام الاستهزاء والسب من المتوقع حدوثه في أي زمان، ومن أي فئة من الناس رجالاً ونساءً، فعلينا أن نلتزم الحذر، وعلينا أن نتعرف على أحكام الشريعة في مثل هذه الأمور حتى لا يضيع علينا إيماننا وديننا.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب قول النبي لا ترجعوا بعدي كفاراً، رقم (٧٠٧٨)، ٢٢١٤/٤.

[٢] جامع البيان: الطبري، ٣٣٣/١٤.

الفرع الثاني

حكم المسلم المستهزئ

قال الإمام مالك: من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو غيره من الأنبياء مسلم أو كافر قُتل ولم يستتب (١).

وقال الإمام أحمد: كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو تنقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل (٢).

ونص الإمام أحمد على ذلك في مواضع متعددة منها: كل من ذكر شيئاً يُعرّض به الرب تبارك وتعالى فعليه القتل مسلماً كان أو كافراً، وهذا مذهب أهل المدينة (٣).

وقال الإمام ابن تيمية: إن الساب إن كان مسلماً فإنه كفر، ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم(٤).

[١] عياض: الشفا، ص١٠٤٧/٢.
[٢] ابن حنبل: مسائل الإمام أحمد، ص١٢٩١/٣.
[٣] ابن رشد: البيان والتحصيل، ص٢٥٥/١٦.
[٤] ابن تيمية: الصارم المسلول، ص١٠.

وقال القاضي عياض: لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم، ثم نقل عن مالك قوله: من سب الله تعالى من المسلمين قُتل ولم يستتب (١).

أكتفي بهذا القدر حتى لا أطيل، خصوصاً أنني سأعقد مبحثاً خاصاً سأتحدث فيه عن حكم الاستهزاء، فيه سيكون تفصيل هذه القضية.

[1] عياض: الشفا، ص١٠٤٧/٢.

الفصل الثاني

صور الاستهزاء، وحكمه وآثاره

الاستهزاء ظاهرة سلبية مرضية، ظهورها في أي مجتمع لا يبشر بخير، فهي دليل واضح على انهيار القيم والمثل، وضياع الإيمان من نفوس هؤلاء المستهزئين، بالإضافة إلى أنها دليل على فقدان التوازن العقلي، ووجود خلل في النفس.

ولقد عانى المؤمنون قديماً، من بداية ظهور الإسلام كثيراً من المشركين، واستهزائهم، ثم انتقل الأمر إلى المنافقين واليهود في العهد المدني، يسخرون ويستهزئون من النبي عليه الصلاة والسلام ومن المؤمنين، وكأن هذا الفعل الخبيث وصية الكافرين أينما وجدوا، قال تعالى: **{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا}** (سورة البقرة: الآية ٢١٢).

وقال تعالى: **{يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}** (سورة يس: الآية ٣٠).

في هذا الفصل سأتحدث عن صور الاستهزاء، وحكمه وآثاره، **وسيكون ذلك من خلال خمسة مباحث كما يأتي:**

المبحث الأول: صور الاستهزاء في الأمم السابقة على الإسلام.

المبحث الثاني: صور الاستهزاء في العهد الإسلامي الأول.

المبحث الثالث: صور الاستهزاء في العصر الحاضر.

المبحث الرابع: حكم الاستهزاء وآثاره.

المبحث الخامس: سخرية القرآن من المشركين والكافرين.

المبحث الأول

صور الاستهزاء في الأمم السابقة

تتنوع صور الاستهزاء، وهذا راجع إلى المستهزئ نفسه، فيكون استهزاؤه إما بالكلام، أو الإشارة، أو الحركة، أو الغمز واللمز، وكذلك قد يكون هذا الاستهزاء متعلق إما بالله أو رسله، أو المؤمنين.

في هذا المبحث سيكون الحديث عن صور الاستهزاء من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صور من الاستهزاء بالله تعالى.

المطلب الثاني: صور من الاستهزاء بالرسل عليهم السلام.

المطلب الثالث: صور من الاستهزاء بالدين.

المطلب الأول

صور من الاستهزاء بالله تعالى

من شدة الظلمة في قلوب الكافرين، ومن شدة فقرهم العقلي، وقصر نظرهم، كانت شدة تطاولهم على الذات الإلهية، واستهزائهم بالله تعالى، حدث هذا في أغلب الأمم التي كانت قبل الإسلام.

من صور الاستهزاء والسخرية بحق الله تعالى ما ظهر على يد قوم نوح عليه السلام من الشرك بعبادة الأصنام، لقوله تعالى: **{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ، وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ}** (سورة الصافات: الآية ٣٥-٣٦)، فهذا استهزاء مركب، استهزاء بالله وبالرسول، وبالدين.

قال ابن تيمية تعقيباً على هذه الآية: إن الاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فإن من استهزأ بآيات الله التي جاء بها رسوله، هو مستهزئ بالرسول ضرورة، ومن استهزأ بالرسول فهو مستهزئ برسالته حقيقة، ومن استهزأ بآيات الله ورسوله

هو مستهزئ بالله، ومن استهزأ بالله فإنه مستهزئ بآياته ورسوله بطريق أولى (١).

وهذا الاستهزاء والتنقيص لم يكن من قوم نوح وحدهم، بل شاركهم فيه من جاء بعدهم من قوم عاد وثمود، وأهل مدين، وفرعون وبني إسرائيل على مدار تاريخهم.

فما فعله اليهود من عبادة العجل، وموسى عليه السلام حي بينهم، وما قالوه عن الله كما حكى القرآن الكريم عنهم، أمور لا تدل على إيمان أو عقل، **{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}** (سورة آل عمران: الآية ١٨١).

ومن صور الاستهزاء والسخرية والتطاول على الذات الإلهية ما ذكره الله على ألسنتهم: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا}** (سورة المائدة: الآية ٦٤).

---

[١] انظر: تلخيص الاستغاثة: ابن تيمية، ٣٤٦.

وجه الاستدلال: قال الطبري: وهذا الخبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخاً لهم بذلك وتعريفاً منه نبيه قديم جهلهم، واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكثرة صفحه عنهم، وعفوه عن عظيم إجرامهم (١).

ومن صور الاستهزاء والسخرية بالله تعالى ما فعله النصارى من تنقص لله، تعالى عما يقولون علواً عظيماً.

يقول ابن القيم: تنقص الخالق وسبه ورميه بالعظائم، حيث زعموا أنه نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجوى، ثم خرج من حيث دخل رضيعاً صغيراً يمص الثدي، يبكي ويجوع ويعطش ويبول ويتغوط، ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديّه، وربطوا يديه وبصقوا في وجهه، وصفعوا قفاه، وصلبوه جهراً بين لصين، وألبسوه إكليلاً من الشوك، وسمّروا يديه ورجليه وجرعوه أعظم الآلام (٢).

---

[1] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.
[2] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.

ومن صور استهزائهم، وسخريتهم أنه إذا حلف أحدهم صادقاً حلف على الصليب، وإذا حلف كاذباً حلف بالله تعالى.

وهذا المجال فيه كثير من صور الاستهزاء، وصغر الدراسة لا يسمح بذكرها كلها.

المطلب الثاني

صور من الاستهزاء بالرسل عليهم السلام

ليس صعباً على المستهزئ بالله أن يستهزئ برسله عليهم السلام، فالاستهزاء بالرسل تابع للاستهزاء بالله، لقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}** (سورة الأنعام: الآية ١١٢).

ماذا كان يوحي هؤلاء الشياطين بعضهم لبعض، إنه الاستهزاء والسخرية من الأنبياء وأتباعهم.

قال تعالى على لسان قوم نوح لنبيهم: **{إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}** (سورة الأعراف: الآية ٦٠).

وقال تعالى على لسان قوم هود: **{إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}** (سورة الأعراف: الآية ٦٦).

وقال تعالى على أحوال الأقوام السابقين: **{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}** (سورة الذاريات: الآية ٥٢-٥٣).

قال ابن تيمية: لقد كان الاستهزاء والسخرية بالرسل سُنة، وطريقة للمجرمين والمستكبرين (١).

ومن صور الاستهزاء والسخرية بالرسل ما حكاه القرآن الكريم عن قوم نوح: **{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ}** (سورة هود: الآية ٣٨).

يقول قطب: والتعبير بالمضارع فعل الحاضر هو الذي يعطي المشهد حيويته، وجدته، فنحن نراه ماثلاً لخيالينا من وراء هذا التعبير، يصنع الفلك ونرى الجماعات من قومه والمتكبرين يمرون به فيسخرون، يسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم إنه رسول ويدعوهم، ويجادلهم فيطيل جدالهم ثم إذا هو ينقلب نجاراً يصنع مركباً، إنهم يسخرون لأنهم لا يرون إلا ظاهر الأمر، ولا يعلمون ما وراءه من وحي، وأمر شأنهم دائماً في إدراك الظواهر، والعجز عن إدراك ما وراءها من حكمة وتقدير.

أما نوح فهو واثق عارف، وهو يخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء أنه يبادلهم سخرية بسخرية، نسخر منكم

---

[1] انظر: الجواب الصحيح: ابن تيمية ١٦١/١.

لأنكم لا تدرون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظركم من مصير (١).

يقول الشيخ بن عاشور: أما سخرية نوح والمؤمنين من الكافرين فمن سفه عقولهم، وجهلهم بالله وصفاته وقدرته على تعذيب المعاندين لرسوله (٢).

ومن صور الاستهزاء ما ذكره القرآن عن قوم نوح: **{فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}** (سورة هود: الآية ٢٧).

كذلك ما حدث من قوم عاد مع نبيهم هود عليه السلام من وصفه بالسفه والكذب والجنون، قال تعالى: **{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}** (سورة الأعراف: الآية ٦٦). قال القرطبي: أي في حمق وخفة عقل (٣).

وقال ابن كثير: كان هذا الاستهزاء من قومه عندما دعاهم إلى التوحيد ونبذ الشرك وعبادة الأصنام وإفراد الله

[1] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.
[2] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.
[3] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.

تعالى وحده بالعبادة فاستنكروا ذلك وتعجبوا كما تعجب الملأ من كفار قريش (١).

ومن صور الاستهزاء، استهزاء قوم ثمود من نبيهم صالح عليه السلام حينما دعاهم لتوحيد الله وعبادته، لقوله تعالى: **{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ}** (سورة الأعراف: الآية ٧٥).

قال القاسمي: قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية، لأنهم يعلمون بأنهم عالمون بذلك (٢).

وهكذا تتواصل مسيرة الاستهزاء والسخرية من الأنبياء والمرسلين، حتى نصل إلى نبي الله لوط عليه السلام مع قومه.

لقد فعل قوم لوط ما لم يفعله أحد من قبلهم، من فعل للفاحشة والإعلان والمجاهرة بها.

كما نص على ذلك القرآن الكريم لقوله تعالى: **{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ**

---

[١] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.

[٢] محاسن التأويل: القاسمي، ٥٩٣/٣.

الْعَالَمِينَ} (سورة الأعراف: الآية ٨٠)، فماذا كان جواب قومه: **{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}** (سورة الأعراف: الآية ٨٢).

قال القاسمي: قالوا هذا سخرية بهم، وبتطهرهم من الفواحش، وافتخاراً مما كانوا فيه من القذارة (١).

وهكذا سخرية أهل مدين مع نبيهم شعيب عليه السلام: **{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}** (سورة الأعراف: الآية ٨٨).

وتستمر رحلة الاستهزاء حتى نحط الترحال عند بني إسرائيل، وعلاقاتهم مع أنبيائهم، وعلاقة فرعون مع موسى عليه السلام: **{فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآَيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ}** (سورة الزخرف: الآية ٤٧).

ورحلة استهزاء بني إسرائيل من أنبيائهم رحلة طويلة، مليئة بالمحطات التي تستوقف الباحثين، لم تخلوا علاقة من علاقاتهم بأنبيائهم من مواقف السخرية والاستهزاء، ابتداءً من يعقوب عليه السلام مروراً بيوسف، وداود وسليمان

---

[١] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.

وموسى وهارون، وزكريا ويحيى وعيسى، وغيرهم لهذا لا عجب، ولا غرابة أن ينزل فيهم قول الله تعالى: **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}** (سورة المائدة: الآية ٧٨).

المطلب الثالث

صور من الاستهزاء بالدين

أرسل الله الرسل، وأنزل معهم الكتب، وشرّع الشرائع، وعظّم ذلك كله، ليس فقط ما شرّع لهذه الأمة، بل كل شريعة كانت في الأمم السابقة، من آدم حتى عيسى عليه السلام، فمن أخل بهذا الأصل العظيم، واستخف بدين الله، وطعن فيه فقد أعظم على الله تعالى الفرية، ارتكب من القول منكراً وزوراً، وناقض الإيمان بما يأتي على بنيانه من القواعد، فينتقل صاحبه من عداد أهل الإيمان، ويسلكه في زمرة الأشقياء المعاندين المستكبرين، ويصدق عليه قوله تعالى:**{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** (سورة النساء: الآية ١١٥).

ومن صور الاستهزاء استخفاف قوم شعيب بالصلاة والزكاة، قال تعالى: **{قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}** (سورة هود: الآية ٨٧).

ومن صور الاستهزاء بالدين ما فعله السامري من صناعته العجل، وتقديمه لقومه على أنه إلههم، وإله موسى الذي ضل عنه موسى، فهذا استخفاف بدين الله، والتوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام، قال تعالى: **{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ}** (سورة طه: الآية ٨٨).

كذلك ما فعله النصارى حينما عبدت الصليب من دون الله تعالى، وكان الأولى بهم أن يحرقوا كل صليب على ظهر الأرض لأنه حسب زعمهم الباطل هو الآلة الذي عُذب عليها نبيهم وإلههم.

وهكذا حال العرب في الجاهلية، الذين قال الله عنهم: **{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً}** (سورة الأنفال: الآية ٣٥). قال ابن كثير: المكاء والتصدية: الصفير والتصفيق (١).

ومن قبلهم قال قوم عاد لهود عليه السلام: **{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}** (سورة الأعراف: الآية ٧٠).

---

[1] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.

لهذا لا عجب أن يحل بهم العذاب في الدنيا وفي البرزخ يصلون العذاب إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}** (سورة غافر: الآية ٤٦).

لهذا لا غرابة أن نسمع قول الله تعالى في حقهم جميعاً: **{فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}** (سورة الأنعام: الآية ١٠).

المبحث الثاني

صور من الاستهزاء في العهد الإسلامي الأول

لا يختلف العرب الذين بُعث فيهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن غيرهم من الأمم السابقة في نظرتهم إلى الله تعالى، ورسوله ودينه، فهي نظرة يتوارثها المجرمون على مدار تاريخ البشرية، جيلاً بعد جيل، وكأنهم يوصي بعضهم بعضاً بذلك، لهذا لا غرابة ولا عجب أن نجد شبهاً كبيراً في مواجهة قريش والعرب الذين أخذوا موقف المعارضة للدعوة الإسلامية بينهم وبين من سبقهم من الأمم.

سيكون حديثي عن هذا الموضوع من خلال مطالب خمسة كما يلي:

المطلب الأول: صور من الاستهزاء بالله تعالى.

المطلب الثاني: صور من الاستهزاء بالرسول عليه السلام.

المطلب الثالث: صور من الاستهزاء بالدين الجديد.

المطلب الأول

صور من الاستهزاء بالله تعالى

اتفقت الكلمة على أن الأصل في حق الله تعالى هو التعظيم، والمحبة والإجلال والإكرام، هذا ما جاءت به الرسل جميعاً، وهذا ما نزلت به، ومن أجله الكتب السماوية كلها، لقوله تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}** (سورة النحل: الآية ٣٦).

لكن الذي حدث مع توالى القرون والسنين انحراف الإنسان عن الفطرة السوية، وزين لهم الشيطان كثيراً من الأفكار الضالة، وانحرفت العقول بأفكار متعددة، واتبع الناس الهوى، فعُبدت آلهة من دون الله، عبدت الأصنام، وغيرها من المعبودات، فكان دين الشرك الذي عُبد به غير الله، لهذا أنزل الله عنهم قائلاً: **{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}** (سورة الأحزاب: الآية ٥٧).

لهذا أُعتبر الشرك بالله تعالى في ألوهيته، وربوبيته، في حكمه، هو أعظم صورة من صور الاستهزاء، لأن الشرك

هو تنقص لله تعالى، لهذا فهو قبح وسفاهة، واستهزاء أن يعبد الناس مع الله غيره من المخلوقات.

من هذه الصور: الظن بالله ظن السوء، قال تعالى: **{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** (سورة الفتح: الآية ٦).

ومنها قوله تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}** (سورة البقرة: الآية ١٦٥).

أي يجعلون هذه الآلهة نداً لله تعالى في المحبة والتعظيم.

ومنها قوله تعالى: **{ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}** (سورة الأنعام: الآية ١).

عقب الإمام الطبري على هذه الآية قائلاً: يجعلون له شريكاً في عبادتهم إياه، فيعبدون معه الآلهة والأنداد، والأصنام والأوثان، وليس منها شيء شركة في خلق شيء من ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المتفرّد بذلك كله، وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره (١).

---

[1] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.

المطلب الثاني

صور من الاستهزاء بالرسول صلى اللّه عليه وسلم

واجه الرسول عليه السلام أصنافاً متعددة من المعارضة في الفترة المكية والفترة المدنية، في مكة قام المشركون بالدور كاملاً وفي الفترة المدنية لعب الدور اليهود والمنافقون، ومشركو العرب من أهل المدينة.

في هذا المطلب سيكون حديثي عن الاستهزاء من خلال ثلاثة فروع، كما يلي:

الفرع الأول

صور من استهزاء المشركين بالنبي

الرسل هم أعظم الخلق مكانة عند الله تعالى، تمثلت فيهم أعظم وأرفع وأجمل الصفات الخُلقية، رباهم الله سبحانه على عينه، طهر نفوسهم وعقولهم وأخلاقهم من أي ذميمة خُلقية، أو خَلقية، حتى يكونوا قادرين على تحمل أعباء الرسالة، والنبوءة، لهذا كان يجب مع هؤلاء الأنبياء المحبة والتوقير والإتباع، بدل المعارضة والكراهية.

ولكن هذه سنة الله في خلقه، أن يكون للرسل والأنبياء معارضون، قال تعالى: **{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}** (سورة الحجر: الآية ١١-١٣).

لقد سخرت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم، واستهزؤا به، وآذوه أشد الإيذاء بالقول والفعل، بالقول شعراً ونثراً، وبالفعل، محاربة وحصاراً وتضييقاً له، وملاحقة له في كل مكان.

من صور استهزائهم به صلى الله عليه وسلم ما ذكره القرآن الكريم عنهم: **{وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا، إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا}** (سورة الحجر: الآية ٤١-٤٢).

كان أهل قريش يعرفون أن محمداً صادق أمين، ولكن شدة التكذيب بالدعوة والصد عن سبيل الله جعلهم يصفونه بذلك على وجه الاستهزاء والسخرية.

ومن صور استهزائهم به وصفهم للنبي عليه السلام بالصنبور المنبثر، أي أنه أبتر لا عقب له، فما أن يُقتل أو يموت إلا وقد زال أثره وانقطع خبره، فلا ناصر له، ولا طالب بأثره.

ومن تلك الصور ما لقيه من أهل الطائف حينما ذهب إليهم يلتمس منهم النصرة، والتأييد، فما كان جوابهم إلا الاستهزاء والسخرية منه، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ويرمونه بالحجارة، تحقيراً له وازدراءً به صلى الله عليه وسلم.

يقول السيوطي: لقد واجه الرسول عليه السلام من قريش والعرب الذين كانوا يدورون معها، صوراً متعددة ومتكررة من

الاستهزاء والسخرية، وهذه كانت بعض ملامح الفترة الملكية فترة الاستضعاف. ولم يكن أهل الشرك وحدهم في هذه الفترة، بل كان معهم يعاونهم اليهود في تدبير بعض المكائد والدسائس، هذا ما أخبرتنا به كتب السيرة النبوية (١).

[1] انظر: جامع البيان: الطبري، ١٠/٤٥٠.

الفرع الثاني

صور من استهزاء اليهود والنصارى بالرسول عليه السلام

انتهت الفترة المكية، وانتقل النبي إلى المدينة المنورة مهاجراً، وإذا بالحال يستمر على ما كان عليه من الاستهزاء والسخرية، ولكن اختلفت الجهة، فاليوم يقوم بهذا الدور المنافقون واليهود.

ولصور الاستهزاء من قبل اليهود أشكال متعددة، منها:

١. ما ذكره القرآن الكريم: {**وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ**} (سورة المجادلة: الآية ٨).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن اليهود إذا سلّم عليكم أحدهم فإنما يقول: السّام عليكم، فقولوا وعليكم**"(١).

فهذا الذي يحيون به النبي عليه السلام، وهو قولهم السام عليك، ويعنون به الموت.

---

[1] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.

٢. ومن صور الاستهزاء قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (سورة البقرة: الآية ١٠٤).

يقول الطبري: فهذا الاستهزاء منهم استهتار عليهم لعنة الله، يوهمون أنهم يقولون راعنا سمعك، وإنما يريدون الرعونة بسبهم للنبي (١).

هذا شيء قليل من استهزاء اليهود بالنبي عليه السلام، في صور الإسلام الأول، إلا أنه لم يكن اليهود لوحدهم في الساحة والميدان، فقد شاركهم النصارى في ذلك.

ومن صور استهزاء النصارى بالنبي عليه السلام:

١. ما رُوي عن أنس بن مالك قال: كان رجل نصرانياً فأسلم، قرأ البقرة، وآل عمران، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمداً إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له و أغمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح قد لفظته الأرض، فقالوا هذا فعل

---

[1] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٥٠/١٠.

محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له و أغمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه (١).

هذا النصراني استهزأ بالنبي عليه السلام حينما قال: ما يدري محمد إلا ما كتب له، فعاقبه الله بهذا العقاب الشنيع.

٢. ومنها ما حدث مع كسرى حينما أرسل له النبي عليه السلام يدعوه إلى الإسلام، فمزق كتاب النبي وأهان رسول، رسول الله، استهزاءً بالرسول العربي، فما كان إلا أن قتله الله ومزق ملكه كل ممزق، **{فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}** (سورة الأنعام: الآية ١٠).

وهذه سنة الله في أعدائه، وأعداء رسله الذين يصدون عن سبيله ويعادون أولياءه.

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: رقم (٣٦١٧)، كتاب (المناقب)، باب (علامات النبوة في الإسلام)، ١١١٥/٣.

الفرع الثالث

صور من استهزاء المنافقين بالنبي عليه السلام

المنافقون كانوا الأخبث، والألعن من اليهود والنصارى والمشركين في موضوع الاستهزاء، فهم الأكثر إيذاءً للنبي وأهله، لهذا كان موقف القرآن منهم واضح وصريح حينما قال تعالى فيهم: **{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}** (سورة الأحزاب: الآية ٥٧).

ومن شدة إيذاء هؤلاء للنبي عليه السلام، ولشدة بشاعة هذا الإيذاء وتشنيع القرآن وتقبيحه له قرنه بإيذاء الله تعالى.

١. من صور إيذاء هؤلاء واستهزائهم بالنبي عليه السلام، وهو الموقف الأكثر تأثيراً في رسول الله على مدار حياته كلها، ما حدث بعد انتهاء غزوة بني المصطلق، حينما تكلم بعض المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي بن سلول في عرض عائشة أم المؤمنين، زوجة النبي عليه السلام، والقصة مشهورة في كتب السيرة تحت اسم (حادثة الإفك)، وقد نزل فيها وحي من السماء (سورة النور).

أخذ هؤلاء المرضى في أخلاقهم وعقولهم، معدومي القيم والمروءة يبثون هذه الأكاذيب في أنحاء المدينة وقد مكث النبي عليه السلام شهراً كاملاً، مع انقطاع للوحي، حتى صعد أخيراً المنبر وخطب في الناس قائلاً: "**يا معشر الناس من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**"(١).

فنزل قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ، لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ}** (سورة النور: الآية ١١-١٢).

٢. ومن صور الاستهزاء ما حدث في غزة المريسيع حينما قال ابن سلول يخاطب الأوس والخزرج والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم قال لبني

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٤٧٥٠)، كتاب (التفسير)، باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون)، ١٤٨٤/٣.

قومه: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم (١).

فأخبر زيد بن أرقم النبي بما سمع وكان غلاماً صغيراً فأنكر ابن سلول، قال وحلف على ذلك، فأنزل الله تصديقاً لزيد وتكذيباً لابن سلول سورة المنافقين، وعلى الخصوص قوله تعالى: {**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ، يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**} (سورة المنافقون: الآية ٧-٨) .

٣ . ومن صور استهزائهم بالنبي عليه السلام ما حدث يوم خرج المنافقون مع جيش المسلمين يوم غزوة تبوك، يشيرون إلى النبي ويقولون لبعضهم البعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأنا بكم

---

[١] الرحيق المختوم: المباركفوري، ٣٢٩.

غداً مقرنين في الحبال، يقصدون بكلامهم النبي وأصحابه (١).

٤. ومن صور استهزائهم ما قاله المنافقون أثناء غزوة تبوك: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "احبسوا على الركب" فأتاهم فقال : "قلتم كذا وكذا" فقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}** (سورة التوبة: الآية ٦٥-٦٦).

---

[١] السيرة النبوية: ابن هشام، ٥٢٤/٢.

المطلب الثالث

صور من الاستهزاء بالصحابة والمؤمنين

أقام الإسلام العلاقة بين المؤمنين على أسس من المحبة والاحترام، وأن يحفظ المسلم أخاه المسلم في حضوره وفي غيبته، وبالتالي حرّم الإسلام كلّياً الغيبة والنميمة، والغمز واللمز، لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** (سورة الحجرات: الآية ١١) .

ولما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي عليه الصلاة والسلام: "**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**"(١)

ولما رواه أبو برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم،**

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: رقم (٢٥٦٤)، كتاب (البر والصلة)، باب (تحريم الظن والتنافس)، ٩٣/٦.

فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته فضحه في بيته"[1].

فالسب والشتم والاستهزاء بصحابة رسول الله مخالف لما جاء به الدين، وما صح عن النبي وما فعله سلف هذه الأمة من توقيرهم، والترضي عنهم، وتقبيح الطعن والازدراء بهم، وذلك لما رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**" كان المنافقون.

وسوف أخصص للحديث عن هذا الموضوع ثلاثة فروع، كما يلي:

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه: رقم (٤٨٨٠)، كتاب (الأدب)، باب (في الغيبة)، ٢٧١/٤.

الفرع الأول

صور من استهزاء المشركين بالصحابة

كثيرة هي صور الاستهزاء التي كان يقابل بها المشركون المسلمين في مكة.

١ . من صور الاستهزاء والسخرية، ما كان يفعله زعماء قريش بضعفاء المسلمين من تعذيب، واضطهاد، أمثال عمار وبلال وصهيب وخباب وغيرهم (١).

٢ . كانوا يشترطون على النبي عليه السلام إذا أراد أن يجلسوا معه أن يطرد هؤلاء المستضعفين الفقراء، لما رُوي عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي اطرد هؤلاء، لا يتجرأون علينا، قال: كنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ما شاء أن يقع، فحدّث نفسه، فأنزل الله عز وجل: **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}** (سورة الأنعام: الآية ٥١).

---

[١] انظر: البداية والنهاية: ابن كثير، ٥٦/٣.

٣ . ومن صور الاستهزاء ما رواه سلمان الفارسي أن أحد المشركين قال له وهم يستهزئون به: إني أرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى الخِراءة، قال: أجل، أمرنا أن لا نستقبل القبلة، وألا نستنجي بأيماننا، ولا نكتفي بدون ثلاثة أحجار ليس فيها رجيع ولا عظم (١).

٤ . ومن صور الاستهزاء ما حدث في مجلس رستم حينما قال لهم: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل، قالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه (٢). فقد استخف القوم برثاثة ثياب المغيرة بن شعبة، وسبوه سباً مقزعاً.

---

[1] أخرجه ابن ماجه في سننه: رقم (٣٢٠)، كتاب (الطهارة)، باب (الاستنجاء بالحجارة)، ٦٣/١.

[2] انظر: البداية والنهاية: ابن كثير، ٤٣/٧.

الفرع الثاني

صور من استهزاء اليهود بالصحابة

لم يترك اليهود شيئاً من دين الله إلا وناله استهزائهم، الله ورسوله ودينه وأصحابه.

لقد نال الصحابة قسط ليس بالقليل من استهزاء اليهود، ومن صور ذلك زعمهم أن الله أباح لهم أموال الأميين، وهم المسلمين، وقد نزل فيهم قرآناً يبين أكاذيبهم، وافتراءاتهم.

قال تعالى: **{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** (سورة آل عمران: الآية ٧٥).

قال ابن كثير: أي إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين، وهم العرب، إن الله قد أحلها لنا، وقد اختلقوا هذه المقولة، واستحلوها بهذه الضلالة فإن الله حرّم عليهم أكل الأموال إلا بحقها، وإنما هم قوم بهت (١).

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ١/٥٦٠.

الفرع الثالث

صور من استهزاء المنافقين بالصحابة

من أكبر صور الاستهزاء ما تحدث به القرآن عن المنافقين، حيث قال تعالى: **{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}** (سورة البقرة: الآية ١٤).

فهذه الصورة هي أعظم صور الاستهزاء، وهي إظهار الإيمان والموافقة والطاعة والنصرة وهم في الحقيقة يضمرون في قلوبهم الكفر والحقد والكراهية.

ومن صور الاستهزاء ما قاله بعض المنافقين في غزوة تبوك واصفاً الصحابة : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، فقال له عوف ابن مالك كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه بالنزول، فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب، فرد عليهم الله تعالى: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}** (سورة التوبة: الآية ٦٥-٦٦) .

المبحث الثالث

صور من الاستهزاء في العصر الحاضر

كما قيل الكفر ملة واحدة، والكفار على مدار التاريخ صفاتهم واحدة، وأسلوبهم واحد، وحججهم واحدة، يتغير الزمن وهم باقون كما هم من زمن نوح عليه السلام إلى زمن محمد خاتم المرسلين، إلى زماننا الذي نعيشه، الذي يتغير فقط هو الزمن والأيام، وهذا دليل على أنهم في معارضتهم للدين والرسل ليس عندهم شيء جديد.

في هذا المبحث سيكون الحديث عن الاستهزاء في العصر الحاضر وسأخصص له أربعة مطالب، **كما يلي:**

المطلب الأول: صور من الاستهزاء بالله تعالى.

المطلب الثاني: صور من الاستهزاء بالدين.

المطلب الثالث: صور من الاستهزاء بالرسول عليه السلام.

المطلب الرابع: صور من الاستهزاء بالصحابة.

المطلب الأول

صور من الاستهزاء بالله تعالى

تعددت صور الاستهزاء بالله والتنقص من قدره سبحانه وتعالى، وكما حدث مع السابقين من عبادة للأصنام والآلهة من دون الله، حدث في عصرنا الحاضر، عصر العلم والتقدم.

ولصور الاستهزاء في هذا العصر أشكالاً كثيرة منها:

١ . كثرة القبور والأضرحة التي يقدسها الناس إن كانت لزعماء سياسيين أو دينيين، ووضع أكاليل الزهور عليها وبناء الأنصبة الضخمة حولها، والتقرب إليها بالقرابين، وفي هذا محادّة لله تعالى لما رُوي عن ابن عباس عن النبي عليه السلام: "**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"[١].

قال ابن القيم: فأما الشرك فنوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم

[١] رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، رقم (٤٣٥)، ١٥٤/١.

من محبة الله ويغضبون لمنتقصي معبودهم وآلهتهم في المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين (١).

٢ . ومن صور الاستهزاء الدعاء بالموتى والاستغاثة بهم، والتذلل عند القبور.

٣ . ومن صور الاستهزاء والسخرية بالله ما تقوم به المجتمعات والدول الإسلامية من وضع قوانين ويعملون في تطبيقها في الناس تحل محل شرع الله سبحانه، متغافلين قول الله تعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}** (سورة المائدة: الآية ٥٠).

يقول ابن جبرين: من اعتقد أن أحداً من الناس يسوغ له التشريع والتقنين، ووضع الأحكام التي تغير الشرع، كإباحة الزنا أو الربا وإبطال العقوبات الشرعية كقتل القاتل، وقطع السارق، وإبطال الزكاة وتغيير الفرائض أو أي نوع من أنواع العبادات وهذا التحاكم إلى غير شرع الله، والحاكم بغير ما أنزل، فمن اعتقد ذلك أو نحوه فقد اعترض على الرب في شرعه، وزعم أنه ناقص أو غير ملائم أو أن غيره حكمه

---

[١] مدارج السالكين: ابن القيّم، ٣٣٩/١.

أحسن من حكمه، وذلك غاية التنقص فلا يجتمع مع التوحيد الخالص [1].

٤ . ومن صور الاستهزاء الخطيرة جداً، تطاول بعض شعراء الحداثة على جناب الله تعالى في شعرهم، كما فعل الشاعر العراقي (البياتي)، وكما فعل الشاعر السوري (نزار قباني)، وغيرهم، فما أبقوا لسلفهم ابن عربي، وابن الفارض.

٥ . ومن صور الاستهزاء والسخرية اتخاذ أسماء الله وصفاته زخرفة على اللوحات والملابس والأزياء وعرضها في الفنادق والمعارض الفنية، ومن يقوم بهذه الأعمال المتبرجات الفاسقات.

نفس أسلوب من سبقهم: **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}** (سورة التوبة: ٦٩).

٦ . ومن صور الاستهزاء بالله قراءة القرآن في الاحتفالات الفنية الماجنة، مثل تكريم الفنانين والفنانات والمشاهير من المثقفين وأهل الإعلام.

[1] انظر: الكنز الثمين: ابن جبرين، ١٦٠/١.

٧ . كذلك من صور الاستهزاء بالله إطلاق أسماء الله على الأفلام والمسلسلات، واقتباس كلمات من القرآن أو أسماء لله أو صفاته.

٨ . ومن صور الاستهزاء هذه الكتب التي تتجرأ على الله سبحانه، والتي تطبع وتنتشر في عالمنا العربي والإسلامي وهي ليست بالقليلة.

والحديث في هذا المجال واسع، وطويل ومتشعّب للأسف، تجرأ أهل السياسة كما تجرّأ أهل الثقافة والفن، فما عادوا يوقرون الله حق توقيره، فحاربنا الله حتى جعل حياتنا كلها ضنك.

المطلب الثاني

صور من الاستهزاء بالدين

لقد نهانا الله سبحانه أن نوالي من اتخذ ديننا هزواً لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** (سورة المائدة: ٥٧)

وصور الاستهزاء بالدين كثيرة ومتعددة ومتنوعة حسب كل جهة أو شخص ينتقص هذا الدين، **ومن هذه الصور:**

١ . اعتقاد البعض أن الدين لا يصلح لبناء الأمة.

يقول طه حسين: تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية، ولا يوماً لتكوين الدول (١).

٢ . الاستهزاء بعقيدة القضاء والقدر، وهذا نجده عند كثير من القصاص والشعراء والكتّاب، كما في قصة (غادة رشيد لعلي الجارم).

[1] انظر: حصوننا مهددة من داخلها: محمد حسين، ١٤١.

٣ . استغلال بعض آيات الترهيب وبعض الأحاديث النبوية ذات الصلة بعذاب القبر للترهيب والتخويف مما كان له أثر عكسي سيء للغاية.

٤ . الاستهزاء بعقيدة الثواب والعقاب (الجنة والنار)، وجعلها تتحمل المسؤولية عن فساد القيم الاجتماعية في المجتمع.

يقول محمود الخضري: إن فكرة الثواب والعقاب تؤدي إلى الإخلال باستذلال القيم كما تؤدي الأزمات الاقتصادية إلى الإخلال بقيم النقد وبالتالي يخسر المجتمع.

٥ . من صور الاستهزاء المتكررة يومياً الاستهزاء بالحجاب والنقاب، واللحية والثوب القصير للرجال.

يقول حسين أمين: الحجاب كان مناسباً للمدينة المنورة، ولم يعد مناسباً للقاهرة في القرن العشرين (١).

ويقول نفس الشخص عن العقوبات الإسلامية: فالقطع الذي قرره القرآن عقاباً للسارق هو شريعة بدوية (٢).

---

[1] انظر: العقلانيون: علي عبد المجيد، ٦٦.
[2] المصدر السابق. ٦٧.

ويقول عبد الله العلايلي: إن إنزال الحد لا يتفق مع روح القرآن الذي جعل القصاص صيانة للحياة وإشاعة للأمن العام، وليس لجعل المجتمع مجموعة من المشوهين، هذا مقطوع اليد والآخر مقطوع الرجل، والآخر مفقوء العين أو مصلوم الأذن أو مجذوع الأنف (١).

إن المتتبع لكثير من المحطّات الفضائية ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة ليقف على صور كثيرة يتم من خلالها التعدي الصارخ على ديننا وقيمنا الإسلامية دون خجل أو خوف، في نفس اللحظة التي لا يجرؤ واحد منهم أن يتحدث عن الحاكم ويناقشه فيما يفعل سياسة أو اقتصاداً أو غيره.

[1] انظر: أين الخطأ: محمد حامد الناصر، ٨١.

المطلب الثالث

صور من الاستهزاء بالرسول عليه السلام

يظن البعض سذاجة أن التطاول على الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم سيرفع من قدر المتطاول أو المستهزئ، وقد نسي هؤلاء أن من رفع الله قدره، لا تستطيع أي جهة أو قوة أن تقلل، أو تضع من قدره، وهكذا الرسل والأنبياء، وعلى رأسهم نبينا محمد عليه السلام، أعلى الله من قدرهم، ورفع مكانتهم، فما يضيرهم نباح الكلاب.

١ . من صور الاستهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام: ما تطاول به بعض الشعراء والكتّاب على الرسول أمثال (محمد الحربي) في قصيدته (المفردات)، والتي جاء فيها أن ما جاء به محمد عليه السلام ما هو إلا عاداته وعادات قومه الجاهليين، معلناً أن أم جميل زوجة أبي لهب امرأة ثائرة على ما جاء به محمد عليه السلام وأن المرأة منذ بعثة النبي أصبحت سلعة تباع وتشترى (١).

[1] صحيفة اليمامة، العدد (٨٨٧) تاريخ ١٤٠٦/٤/٢٧هـ .

٢ . من صور الاستهزاء الرسوم الكاريكاتورية التي يقوم برسمها بين الحين والآخر رسامون لا أخلاق لهم، ومنها ما كان يرسم وينشر في فترة الستينات في الصحف المصرية، كالرسم الذي نشر في صحيفة المساء القاهرية، والذي صور شخصاً على هيئة ديك وحوله تسع دجاجات وتحت الرسم كُتب: أهوه دي يا سيدي محمد أفندي اللي متجوز تسع.

٣ . ومن صور الاستهزاء ما نشرته صحيفة الشهاب اللبنانية يوم ١٣٩٤/٣/٢٣هـ، من أن الرسول محمد كان إنسان بسيط يسافر كثيراً عبر الصحراء العربية، ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك الخرافات القرآن.

٤ . ومن صور الاستهزاء ما قاله طه حسين في كتابه على هامش السيرة من أنه كتب هذا الكتاب على غرار كتب الأساطير عند اليونان والرومان (١).

٥ . ومن صور الاستهزاء ما كتبه نجيب محفوظ في قصة (أولاد حارتنا)، والتي تطاول من خلالها كثيراً على جناب النبي عليه السلام، مما أثار في حينها ضجة كبيرة.

---

[1] انظر: على هامش السيرة: طه حسين، ٩٣.

وعلى نفس المنوال سار المدعو سلمان رشدي في كتابه (الآيات الشيطانية)، والتي سخر فيها من النبي سخرية كبيرة.

وقد أخذ أسلوب السخرية من النبي عليه السلام جانباً آخراً، وهو ما تعرض له الحديث الشريف من نقد ورفض لما فيه من مخالفة للعقل والعلم والحضارة، (حسب زعمهم)، وقد نال حديث الذبابة كثيراً من تعليقات المفكرين والمثقفين خصوصاً في فترة الثمانينات من القرن الماضي، فقد قال بعض المثقفين والكتّاب أن حديث الذبابة ورد في صحيح البخاري، فقال: ضعه تحت قدمك وقال آخر أنا آخذ بقول الطبيب الكافر، ولا آخذ بقول الرسول (١).

كثير من الكتاب حاول بكل قوة أن يطعن في السُنة كي يصل إلى ما يريد من ردها وإبطال العمل بها، ولكن يأبى الله إلا أن يرد كيد هؤلاء إلى نحورهم.

[1] انظر: تعظيم السنّة: عبد المقصود السيجاني، ٤٣.

المطلب الرابع

صور من الاستهزاء بالصحابة

الاستهزاء والسخرية بالصحابة والمؤمنين لا يقتصر على القول فقط، بل يتعداه إلى الفعل والإشارة والإيماءة ومن صور الاستهزاء والسخرية:

١ . ما ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم: من أن الرافض صوروا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صورة مجسمة تجسيماً كاملاً، وزينوه بلباس فاخر بلحيته وعمامته، وجعلوا له ذيلاً يستهزئون به في مجالسهم، ويرقصون حواليه، ويلعنونه، ثم أتوا بولد أبو عشرين سنة، وأتوا بمطوعهم ليعقدوا للولد على عمر، ويجعلونه مثل الذي تعرفونه من الغيري النساء (١).

٢ . ومنها ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب: من أنهم يستهينون بأسماء الصحابة وخصوصاً العشرة المبشرين بالجنة (٢).

---

[1] انظر: الفتاوى: محمد بن إبراهيم. ٣٧.
[2] انظر: رسالة في الرد على الرافضة: محمد بن عبد الوهاب، ٢٦.

٣ . ومن صور الاستهزاء، ما ذكره محمود أبو دية في حق أبي هريرة من حقارته وازدراء شخصيته، واتهامه بعدم الإخلاص في إسلامه وعدم الصدق في حديثه، وحبه لبطنه وللمال، وتشيعه لبني أمية (١).

٤ . ومن صور الاستهزاء ما نقرأه ونسمعه من الشيعة الذين يشنعون ليل نهار على الصحابة، ولا يستثنون أحداً إلا قلة قليلة.

والجعبة مليئة من هذا الاستهزاء جازى الله أصحابه بما يستحقوا.

[1] انظر: السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، ٤٦٦.

المبحث الرابع

حكم الاستهزاء، وآثاره

من الأمور ذات الأهمية أن يتعرف المسلم على حكم الدين فيما يقع أمامه، منه أو من غيره، ليكن على بيّنة من أمره، فلا يضل أو يزيغ، فكثيراً ما يجهل الإنسان أحكام الشرع في قضايا كثيرة، يفعلها وهو جاهل بحكمها.

من أجل هذا عقدت هذا المبحث حتى نتعرف على حكم الشرع في الاستهزاء والسخرية، ثم مبيناً آثار الاستهزاء والسخرية، على جميع الأطراف، المستهزأ منه، والمستهزيء، وعلى المجتمع الذي يقع فيه هذا الأمر، **وسأخصص لهذا المبحث مطلبين:**

المطلب الأول: حكم الاستهزاء.

المطلب الثاني: آثار الاستهزاء والمستهزئين.

المطلب الأول

حكم الاستهزاء

في هذا المطلب سأخصص الحديث عن حكم الاستهزاء وذلك من خلال فرعين، كما يلي:

الفرع الأول

حكم الاستهزاء بالله تعالى، ورسله، ودينه

استدل العلماء في الحكم على المستهزئ بالله ورسله ودينه بأدلة من الكتاب والسُنة والإجماع، وأقوال العلماء المعتبرين، كما يلي:

أولاً. القرآن الكريم:

١. لقوله تعالى: {**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ..**} (سورة التوبة: ٦٤،٦٥).

وجه الاستدلال: الآيتان فيهما أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، وقد دلت الآيتان على أن كل من تنقص من رسول الله صلى الله عليه وسلم جاداً أو هازلاً فقد كفر (١).

٢ . قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ..}** (سورة الأحزاب: ٥٧،٥٨).

وجه الاستدلال: الآيتان تضمنتا وعيداً شديداً لمن آذى الله سبحانه وتعالى، ورسوله بأي نوع من أنواع الأذى، ومنه الاستهزاء والسخرية التي هي أعظم الإيذاء، فكان الوعيد عليه فتنته في الدنيا، والآخرة عذاباً مهيناً، ولم يجيء العذاب المهين في القرآن الكريم إلا في حق الكفار (٢).

قال القرطبي: وقد ميز الله تعالى بين أذاه وأذى الرسول، وأذى المؤمنين، فجعل الأول كفراً، والثاني كبيرة، حيث أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات، لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حق أبداً، وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه، ومنه (٣).

---

[١] الصارم المسلول: ابن تيمية، ٣٧.
[٢] المصدر السابق، ٥٧.
[٣] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ١٥٤/١٤.

٣ . قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ..}** (سورة الحجرات:١-٢).

٤ . قوله تعالى: **{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}** (سورة النور: ٦٣).

وجه الاستدلال: رفع الصوت والجهر به مع النبي صلى الله عليه وسلم مظنة الكفر، لما يشتمل عليه هذان الأمران من أذى واستخفاف بالنبي عليه السلام، وإن لم يقصد الفاعل لذلك الأمر، فإن كان الأذى والاستخفاف الذي يحصل في سوء الأدب من غير قصد صاحبه يكون كفراً، فالأذى والاستخفاف المقصود المتعمد كفر بطريق الأولى [1].

ثانياً. السُنة النبوية: وردت في السنة النبوية أحاديث متعددة من حكم الاستهزاء بالله ورسوله ودينه، منها:

١ . ما رُوي عن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم، وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم، وتشتمه فأخذ

---

[1] الصارم المسلول: ابن تيمية، ٦٠.

المغول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجمع الناس فقال: "**أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام" فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا اشهدوا أن دمها هدراً"** (١).

وجه الاستدلال: الحديث فيه بيان أن ساب النبي صلى الله عليه وسلم مهدور الدم، وذلك أن السب مهانة لرسول الله، وارتداد عن الدين ولا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله (٢).

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي، رقم (٤٣٦١)، ٥٢٨/٤.

[2] معالم السنن: الخطابي، ٥٢٨/٤.

٢ . ما رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله دمها. (١).

وجه الاستدلال: هذا الحديث نص في جواز قتلها لأجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم، ودليل على قتل الرجل الذمي، وقتل المسلم والمسلمة إذا سبّا بطريق الأولى (٢).

٣ . ما رُوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله**"(٣).

وجه الاستدلال: في الحديث أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي عليه السلام، ويتشبب بنساء المؤمنين حتى آذاهم، فأمر النبي به، فقتله الصحابي الجليل محمد بن مسلمة رضي الله عنه، وهذا دليل على وجوب قتل من ينال من النبي عليه السلام.

[1] السنن الكبرى: البيهقي، ٢١١/٩، ح (١٨٧٠٩)، كتاب الجزية، باب: يشترط عليهم أن لا يذكروا رسول الله إلا بما هو أهله.
[2] الصارم المسلول: ابن تيمية، ٦٦.
[3] رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الكذب في الحرب، رقم (٣٠٣١).

٤ . حديث عائشة رضي الله عنها التي تتكلم فيه عن حادثة الإفك، وهو حديث طويل وفيه قول النبي على المنبر: "**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي** .."(١).

وجه الاستدلال: في الحديث قتل للطاعن على النبي عليه السلام وذلك لقول سعد بن معاذ في الحديث: يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخروج أمرتنا ففعلنا أمرك، ولم ينكر عليه أحد من الحضور (٢).

هذه الأدلة كلها تتعلق بحكم من يسب النبي عليه السلام، ويطعن عليه ويزدري به، أما سب الله أو التنقص من الدين فيعرف بقياس الأولى.

يقول الشيخ صديق خان: وإذا ثبت ما ذكرنا في سب النبي صلى الله عليه وسلم فبالأولى من سب الله تبارك

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنين)، رقم (٤٧٥٠).
[2] الصارم المسلول: ابن تيمية، ١٨٦.

وتعالى أو سب كتابه أو دين الإسلام أو طعن في دينه بكفر، ومن فعل هذا لا يحتاج إلى برهان (١).

٥ . ومن الأدلة على قتل الكافر المرتد ما رواه عكرمة، أن علياً رضي الله عنه حرّق قوماً فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أُحرّقهم لأن النبي عليه السلام قال: "لا تعذّبوا بعذاب الله"، ولقتلتهم كما قال النبي: "**من بدل دينه فاقتلوه**"(٢).

وجه الاستدلال: أن المستهزئ بالدين وشعائره مرتد وحكمه في الشريعة القتل، قال ابن شداد: الحديث يدل على أن من بدل دينه يقتل (٣).

ثالثاً: الإجماع على كفر وردة المستهزئ بالدين: أجمع أصحاب المذاهب الأربعة على ذلك. (٤)

١. وقال ابن راهويه: أجمع المسلمون على أن من سب الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم، أو دفع شيئاً مما أنزل

---

[1] الروضة النبوية: صديق خان، ٦٣٠/٢.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب (لا يعذب بعذاب الله)، رقم (٣٠١٧).

[3] دلائل الأحكام: ابن شداد، ٧٣/٤.

[4] انظر؛ شرح الفقه الأكبر ص١٣٩ للقاري، والذخيرة للقرافي ١٨/١٢، والإعلام بقواطع الإسلام: الهيثمي ٣٥٢/٢، والمغني، لابن قدامة ٢٩٨/١٢.

الله، أو قتل نبياً من الأنبياء أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله (١).

٢. قال ابن المنذر: وأجمع عوام أهل العلم على وجوب القتل على من سب النبي صلى الله عليه وسلم، هذا قول مالك، والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق ومن تبعهم (٢).

٣. وممن عمل بالإجماع في هذا الباب شيخ الإسلام ابن تيمية إذ قال: فإن كان مسلماً وجب قتله بالإجماع لأنه بذلك كافر مرتد، وأسوا من الكافر، فإن الكافر يعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له (٣).

٣. وممن نقل الإجماع في ذلك الشيخ ابن باز حيث قال: سب الدين والرب جل وعلا كل ذلك من أعظم أنواع الكفر بإجماع أهل العلم (٤).

[1] الصارم المسلول: ابن تيمية، ٥١٣.
[2] الإقناع: ابن المنذر، ٥٨٤/٢.
[3] الصارم المسلول: ابن تيمية، ٥٤٦.
[4] مجموع الفتاوى: ابن باز، ٤٤٢/١.

الفرع الثاني

حكم الاستهزاء بالصحابة وسائر المؤمنين

إن مقام الصحابة في الإسلام مقام عظيم، وذلك لقوله تعالى فيهم: {**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**} (سورة التوبة: ١٠٠).

فالاستهزاء بهم والطعن عليهم جريمة كبيرة وخطب عظيم، لأن في ذلك اعتداء على خيرة رجال هذه الأمة.

أما حكم من استهزأ بالصحابة فإنه يكون قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

يقول الإمام أحمد: المنتقص بالصحابة يضرب وينكل ويوقف عن قتله وتكفيره (١).

هذا فيما يتعلق بالصحابة على العموم أما زوجات النبي عليه السلام على الخصوص فقد أجمع العلماء على أن من سب أو استهزأ بواحدة من أمهات المؤمنين فقد كفر.

[1] الصارم المسلول: ابن تيمية، ٥٧٠.

قال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم (١).

وسب واحدة من زوجات النبي فيه من الطعن على النبي عليه السلام، والتنقص من قدره.

يبقى سؤال هل لساب الصحابة وزوجات النبي من توبة.

وقد بين ذلك ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول، فذكر أن له توبة وهذا مذهب الأئمة الأربعة رحمهم الله (٢).

أما حكم الاستهزاء بالعلماء وسائر المؤمنين، فقد حرص الإسلام على توقير أهل العلم، وحماة الدين، وحملة الشريعة، وهداة الناس، قال طاووس بن كيسان: من السُنة أن يُوَقر أربعة، العالم والشيبة والسلطان والوالد (٣).

ولما رُوي عن أبي موسى الأشعري عن النبي عليه الصلاة والسلام: "**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة**

---

[1] مطالب أولي النهي: مصطفى السيوطي، ٢٨٥/٦.
[2] الصارم المسلول: ابن تيمية، ٥٦٩.
[3] انظر: شرح السنة: البغوي، ٤١/١٣.

المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط" (١).

وقد حذّر العلماء على مدار تاريخ الإسلام من الاستهزاء والتنقص من قدر هؤلاء، لأنهم صورة هذا الدين، وحملة كتابه.

قال ابن المبارك: حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة، العلماء والسلاطين والإخوان، فإن من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته (٢).

وخلاصة القول في المستهزئ بالعلماء أنه واحد من اثنين:

١. أن يكون الاستهزاء من العلم والفقه والدين، فهذا لا شك في كفره (٣).

---

[1] رواه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب (ننزل الناس منازلهم)، (٤٨٤٣).

[2] انظر: سير أعلام النبلاء: ابن الذهبي، ٢٥١/١٧.

[3] انظر: الفقه الأكبر: القاري، ١١٤، وفتاوى ابن عابدين ١٠١/١، وفتاوى ورسائل: الشيخ محمد بن إبراهيم ١٧٥/١.

٢. أن يكون الاستهزاء والتنقص لأهل العلم لذواتهم وبشريتهم دون علمهم أو دينهم، فهو من الإثم والمحرمات التي لا تصل إلى الكفر والقتل (١).

وقد ورد في حرمة التعرض لعرض المسلم الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا"(٢).

وجه الاستدلال:

يقول ابن حجر العسقلاني: وإنما شبه حرمة الدم والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر والبلد لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون أعظم من تلك الأشياء ولا يرون هتك حرمتها ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب، وإنما قدم السؤال عنها تذكاراً لحرمتها، وتقريراً لما ثبت في نفوسهم ليبنى عليه ما أراد من تقريره على سبيل التأكيد (٣).

[1] انظر: جامع البيان: الطبري، ٣٣١/١٠، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ١٥٤/١٤، والمحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي، ٣٩٨/٤.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج، باب الخطبة، ح (١٧٣٩)، ٥١٣/١.

[3] فتح الباري: العسقلاني، ٦٧٣/٣.

المطلب الثاني

آثار الاستهزاء والمستهزئين

للاستهزاء آثار سلبية خطيرة، متعددة الجوانب، ومتنوعة الأشكال، منها ما يعود على المستهزيء، ومنها ما يعود على المستهزئ به، ومنها ما يعود على المجتمع، ومنها ما يعود على خط سير الدعوة الإسلامية بعمومها.

وسوف أخصص في هذا المطلب الحديث عن آثار الاستهزاء من خلال أربعة فروع، **كما يلي:**

الفرع الأول

أثر الاستهزاء على المستهزئين

من أخطر آثار الاستهزاء على المستهزئين أمران:

الأمر الأول. الحكم بردتهم: أجمع العلماء كما ذكرنا في المبحث السابق أن المستهزئ بالله، أو رسوله، أو دينه مرتد، كافر، مهدور الدم، وأن كفره أغلظ من كفر الكافر الأصلي، وهذا الإجماع مبني على الأدلة الشرعية المستمدة من الكتاب والسُنّة، وقد تناولها الفقهاء بالتفصيل في باب حكم المرتد وأحكامه (١).

ثم غير الردة، هذا الاستهزاء محبط للأعمال، وهذا أصل من أصول منهج أهل السُنة والجماعة.

قال ابن تيمية: والردة ضد التوبة، وليس من السيئات ما يمحو جميع الحسنات إلا الردة (٢).

واستدلوا على ذلك من القرآن الكريم قول الله تعالى: **{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** (سورة الأنعام: ٨٨).

---

[1] انظر: الفقه الإسلامي وأدلته: الزحيلي، ٥٥٧٦، وأحكام المرتد: السامرائ، ٨٣.

[2] مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٧٠٠/١١.

وقوله تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} (سورة الزمر:٦٥).

ثانياً: تعرضه لسخط الله وعقاب:

لقوله تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (سورة الأنعام:١٠)، في أغلب حالات الصراع بين أهل الكفر، وأهل الإيمان تكون الجولات الأولى، للاستكبار والاستعلاء والغلبة للكافرين على المؤمنين، ثم تكون العاقبة للمؤمنين، وينزل الله عقابه الدنيوي على الكافرين، والمستكبرين، الذين اتخذوا دين الله هزواً.

وقد ذكر القرآن الكريم صوراً عدة لمن سبق من الأقوام الذين حل بهم عقاب الله في الدنيا:

١. ما حل بقوم نوح عليه السلام حينما قابلوه بالسخرية والاستهزاء، كانت نهايتهم الغرق بالطوفان: {وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً} (سورة الفرقان:٣٧).

٢. وقوم هود عليه السلام، عاقبهم الله بالريح العقيم: **{وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ}** (سورة الذاريات:٤١-٤٢).

٣.وهكذا قوم صالح عليه السلام (ثمود)، ومن بعدهم قوم لوط عليه السلام، وأهل مدين قوم شعيب.

وحركة البشرية مستمرة، المستهزئون على مدار التاريخ مروراً بفرعون وجنوده، وبنو إسرائيل لما كذبوا موسى عليه السلام: **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}**

(سورة المائدة: ٧٨-٨٠) .

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: لُعنوا بكل لسان، لعنوا على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد داود في الزبور، ولعنوا في عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن (١).

---

[١] انظر: جامع البيان: الطبري، ٤٨٩/١٠.

ومن عقاب المستهزئين ما حل بزعماء المشركين من أهل قريش، من قتل يوم بدر، أو أسر في الذل والمهانة.

يقول ابن تيمية: والقصة في إهلاك الله لهم واحداً واحداً من هؤلاء المشركين المستهزئين معروفة، قد ذكرها أهل السير، والتفسير، وهم على ما قيل نفر من رؤوس قريش منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود ابن المطلب، وابن عبد يغوث، والحارث بن قيس، فكل من شنأه عليه السلام، وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره، ومن الكلام السائر: لحوم العلماء مسمومة، فكيف بلحوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (١).

ومن ضمن ما وقع ما ذكرناه سابقاً من حكاية النصراني الذي أسلم فكان يكتب القرآن للنبي عليه الصلاة والسلام، فعاد نصرانياً يستهزئ بالرسول فحل به ما حل.

وهكذا على مدار تاريخ الإسلام، يُنزل الله عقابه في كل من يتطاول على دينه ورسوله والمؤمنين، وكتب السير والتراجم مليئة بالحكايات، والقصص عن مثل هؤلاء الناس.

---

[1] الصارم المسلول: ابن تيمية، ١٧١.

هذا ما يحل بالمستهزئ في الدنيا من العقاب المرئي والمسموع.

أما عقاب الآخرة، فكل المستهزئين والساخرين سوف يتعرضون لعذاب الله تعالى في هذا اليوم جزاءً وفاقاً، لقوله تعالى: {**فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**} (سورة النازعات: ٣٧-٣٩)

وقوله تعالى: {**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} (سورة التوبة:٧٩).

وما رواه سهل بن معاذ بن أسد عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من حمى مؤمناً من منافق أراه قال: بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال**"(١).

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه: ح (٤٨٨٣)، كتاب (الأدب)، باب (من رد عن مسلم غيبة)، ٢٧٢/٤.

هذا الوعيد في حق من طعن على المسلمين، وسخر منهم، أما من استهزأ بالله وآياته ورسوله، فأمره إن مات غير تائب إلى النار وبئس المصير (١).

[1] انظر: الاستهزاء بالدين: القرشي، ٥٨٤.

الفرع الثاني

أثر الاستهزاء على المجتمع

من أخطر ما يسعى إليه المستهزئ من أقوال وأفعال أفراداً وجماعات، عملاً منظماً أو غير منظم، مشركون أو منافقون، أو أهل كتاب، قديماً زمن الأنبياء السابقين على رسالة الإسلام، أو بعد رسالة الإسلام، أو حديثاً في زماننا المعاصر والحاضر.

إن أخطر ما يسعى إليه هؤلاء، وهؤلاء هو هدم القيم وتشويه الحقائق، ونشر الأخلاق الذميمة الفاسدة، وبث روح الانهزامية في المجتمع المسلم.

لقد كانت الآثار السلبية الناتجة عن الاستهزاء على المجتمع كثيرة، منها:

١. ما كان عائد على عقيدة المجتمع، وإيمانه.

يقول الدكتور محمد حسين: وقد فاضت الصحف في هذه الفترة التي نؤرخها بالمقالات التي تشكك الناس في كل ما يخرج عن دائرة المحسوس، وكان معظم ما يُذاع من ذلك

يُذاع باسم العلم والعلمانية، وباسم حرية الفكر والتحرر من العبودية والتقليد (١)[1].

والمتطاولون كثر، وكثيرة أساليبهم، والمجال لا يسع لذكر كل ما كان ينشرونه على الناس من كتب وصحف ومجلات، ووسائل مرئية من سينما وتلفاز، ومسرح، وما زال.

٢. وكان نصيب الشريعة الإسلامية من الاستهزاء السخرية، والتطاول الشيء الكثير، دون خجل أو وجل، وكنا قد ذكرنا بعضاً من أمثلة هذا النوع من الاستهزاء فيما سبق، حتى أن الغالب الأعم من التشريعات التي تحكم المجتمعات الإسلامية في أكثر جوانب حياتنا لا تمت لتشريعات الإسلام بصلة، في المعاملات والأحوال الشخصية، والمال والحرب والسلام، والعقوبات وغيرها.

٣. وقد جرى على العبادات الإسلامية ما جرى من استهزاء.

كان نتيجة الاستهزاء بالعبادات أن أصيب المجتمع الإسلامي بالخلل، والتهدم، وضياع الهيبة، وتفتت القوة،

---

[1] انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد حسين، ٢٩٢/٢.

فكان ما كان من نشر العقائد الفاسدة، والقيم المخلّة، وانتشار الفواحش، والخمور بين أبناء المجتمع السليم، وقيام مؤسسات ربوية تعمل بطريقة رسمية مرخص لها من المؤسسات الحاكمة، لقد حاول هؤلاء المستهزئون أن يفهموا المجتمع أنه إذا أراد أن يتقدم فعليه أن يقطع كل صلة له بالماضي، وأن يفعل ما تفعله المجتمعات المتقدمة من عزل للدين عن الحياة، وكان التركيز على المرأة كثيراً، حتى خلعت حجابها، وترتب على ذلك من النتائج ما ترتب.

٤. ومن ضمن ما لحقه الاستهزاء، فريضة الجهاد ضد الأعداء، وكيف أثاروا حولها الكثير من الشبهات، وعلى رأس هذه الشبهات شبهة أن الإسلام انتشر في العالم بالسيف والقتال وسفك الدماء والقهر والإرغام، وبالتالي نشروا بين المسلمين أفكاراً مسمومة عن الجهاد، فتخلفت الأمة عنه، حتى أذاقها الله لباس الذل والمهانة، واحتل الغرب ديارهم، واستولوا على مقدراتهم، ومزّقوهم إلى دويلات ضعيفة ذليلة.

٥. أما الاستهزاء بالأخلاق الإسلامية فحدث ولا حرج: إن موقف المستهزئين أعداء الإسلام من الأخلاق أن

اتخذوها سخرية واستهزاءً، فمنذ أن اتجه العالم الإسلامي نحو الغرب، وفُتن بمدنيته وثقافته وحريته، وما وصل إليه من تقدم في الصناعة، وللأسف بدل أن ننقل عنهم سبل التقدم والرقي، نقلنا عنهم قيمهم وأخلاقهم، التي أفسدت عليهم حياتهم، فما بالنا نحن.

لقد انتقل إلينا من حضارة الغرب الكثير من أخلاقهم، من خلال وسائل كثيرة متعددة وعلى رأسها هذه البعثات التعليمية، يعودون يحملون إلينا قيم الغرب، وأخلاقهم باسم التقدم والرقي، والعلم الحديث، فانتشر عندنا الانحلال الأخلاقي، والدعارة والمخدرات، وشرب الخمور، وانتشرت بيننا الصحف والمجلات التي تنشر الصور العارية والقصص والروايات الماجنة، وانتشرت عندنا أماكن الرسم والنحت ودور السينما والمسرح والرقص ومسابقات ملكات الجمال.

حاول أعداء الإسلام أن يحطموا غير ما تقدم في نفوس، أن يحطموا الدين، فلم يعد الدين عند كثير من الناس هو المحرك لحياتهم، ولم تعد قيمه هي المسيطرة على سلوكياتهم الخاصة والعامة.

ومن نتائج الاستهزاء بالله ورسوله ودينه أن هذا الأمر كان سبب في زوال كثير من الأمم، ودمارها، وذهابها عن الوجود، وقد ذكرنا أمثلة متعددة لذلك، أمثال قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وقوم فرعون، هؤلاء الذين قابلوا رسالات الله بالتكذيب والاستهزاء والسخرية، والتنقص، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، تصديقاً لقوله تعالى: {**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**} (سورة العنكبوت: ٤٠).

وكما كانت نتيجة الاستهزاء الدمار للمجتمعات، والأقوام، كذلك حلت نقمة الله بالدول، والحكومات التي كفرت، واستكبرت.

قال ابن تيمية: كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لم يسلم، لكن قيصر أكرم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأكرم رسوله، فثبّت الله ملكه، فيقال إن الملك باق في ذريته إلى اليوم، وكسرى مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستهزأ برسول الله، فقتله

الله بعد قليل، ومزق الله ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك وهذا والله أعلم تحقيق لقوله تعالى: **{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}** (سورة الكوثر:٢)، فكل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره (١).

[1] الصارم المسلول: ابن تيمية، ١٧١.

الفرع الثالث

أثر الاستهزاء على الدعوة الإسلامية

إن من أخطر آثار الاستهزاء على الدعوة إلى الله، لبس الحق بالباطل، فيختلط الأمر على المسلمين فلا يعودوا يُفرقون بين الحق والباطل، فيعتقدون الباطل حقاً والحق باطلاً، وهذا من أخطر الأمور على دين الإسلام والمسلمين.

ومن وسائل لبس الحق بالباطل:

١. كتمان الحق، وإخفاؤه، مع إظهار الباطل وإعلانه.

من صوره الآن التنفير من جهاد الأعداء، وإظهار سلبياته، ومخاطره، وفي نفس اللحظة إظهار محاسن المهادنة والسلام مع العدو، وما سيجنيه المجتمع من وراء ذلك.

٢. إظهار الباطل في صورة الحق، مع كتمان الحق وإخفاؤه.

ومن صوره هذه الأفكار والفلسفات الإلحادية، والكفرية، والإباحية التي تنتشر في بلادنا، وغيرها من النظريات التربوية، والأفكار الاجتماعية التي هي في ظاهرها خير،

ولكنها تخفي شراً عظيماً، ومن أمثلتها أيضاً النوادي الاجتماعية الروتاري والليونز والماسونية، والجمعيات الخيرية المنتشرة عندنا في فلسطين كثيراً.

٣. ومن آثار الاستهزاء بالله ورسوله ودينه على الدعوة، العمل على إعاقة مسيرة الدعوة إلى الله، ولقد كان للمشركين والمنافقين واليهود قديماً، دوراً كبيراً في هذا المجال.

والمسلم اليوم حينما ينظر في وسائل الإعلام المتعددة عربية، وأجنبية، يجدها في أغلبها تمارس نفس الدور الذي كان يمارسه المشركون والمنافقون، واليهود سابقاً مع الدعوة، أسلوب السخرية والاستهزاء، ولكن بأدوات عصرية متطورة المنشورات والأفلام والمسلسلات والرسوم، الغالب فيها يعمل على السخرية من الدعوة والدعاة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، ووصفهم بالأوصاف المنفردة، من أصوليين، وظلاميين، ورجعيين، ومتطرفين، وإرهابيين، وأصحاب الجمود والتحجر.

وأصبحت اللحية، والحجاب سُبة في جبين الملتزمين، يتم إقصاؤهم وملاحقتهم وعزلهم أو فصلهم من أعمالهم، أو تهميشهم، أو عزلهم عن مراكز التأثير وصناعة القرار.

أمام هذا ماذا يجب علينا أن نفعل.

- العودة الجادة والصادقة إلى الله.
- استمداد المنهج الصحيح في التعامل مع أعداء الله المستهزئين بدينه.
- التحلي بالصبر، والثياب والتخلق بالحكمة.
- القدرة في التعامل مع الآخر، واستيعابه.

الفرع الرابع

موقف المسلم من الساخرين والمستهزئين

يعاني كثير من الدعاة والعاملين في حقل الدعوة من سلوكيات البعض من الناس، خصوصاً من يعملون في حقل الإعلام، نجد الاستهزاء والسخرية على لسان كثير من هؤلاء الأشخاص، في صحفهم وأفلامهم ومسلسلاتهم، وقصصهم ومقالاتهم، فماذا يكون موقف هؤلاء العلماء والدعاة تجاه ذلك كله:

١. الصبر على الأذى: وهذا أحد ثوابت الدعوة إلى الله، فدعوة بدون صبر لا يرجى من ورائها ثمرة، لهذا نجد الله يخاطب الرسول عليه السلام قائلاً : **{فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}** (سورة هود:٤٩)، وهذا ما قاله موسى لقومه: **{قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}** (الأعراف: ١٢٨-١٢٩).

هذا الصبر من لوازمه أمرين: **الأول:** التوكل على الله سبحانه وتعالى. **الثاني:** الاعتماد عليه والطمع فيما عنده وحده.

٢. عدم الهوان والحزن والاستسلام: لقوله تعالى: **{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ، أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}** (آل عمران:١٣٩-١٤٢).

فالدعاة هم أحوج الناس لهذا الأمر، لأنهم هم الأعلى قدراً وشرفاً ومنهجاً ومكانة، وما نشاهده في أيامنا من خلال ثورات الشعوب على حكامها الظالمين، كيف أن العاقبة للمتقين، وكيف أن المؤمنين يرثون دار قوم كافرين، وما حدث في مصر وتونس من قبل، وما يحدث في اليمن وسوريا وليبيا، وما هو منتظر أن يحدث في باقي الديار، ما هو إلا محق للظالمين والمستبدين والخائنين.

٢. التأسي بمن سبقنا من المؤمنين : فقد مر معنا أن الأنبياء والرسل قد سخر منهم أقوامهم، وكذلك قوافل المؤمنين على مدار تاريخ البشرية الطويل، لحق بهم من السخرية والاستهزاء والأذى الشيء الكثير، فهل أثناهم هذا كله عن الاستمرار بالدعوة، والعمل الجاد لها ليل نهار، ماذا كان موقف نوح حينما واجهه قومه بالغمز واللمز والاستهزاء والسخرية والضحك، ما زاده كل هذا إلا مضياً في العمل المتواصل لصناعة السفينة، وهو يقول في نفسه ولمن حوله من القوم: **{إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ}** (سورة هود ٣٨)، لهذا خاطب الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم قائلاً: **{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}** (سورة الأنعام: ١٠)، وقوله تعالى: **{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}** (سورة الرعد: ٣٢).

٣. عدم موالاة الهازلين الساخرين والمستهزئين : لأنه لا يجمع المؤمن بين الإيمان بالله والولاء للمستهزئين، لأن عقيدة الولاء والبراء تلعب دوراً كبيراً في هذا الأمر، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ**

هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (سورة المائدة:٥٧)، ومما تحزن منه النفوس الآن ما نجده من موالاة اليهود والذين كفروا من قبل الحكام وفئات كثيرة من المجتمع المسلم، و هم الذين ما انتهوا يعيبون ديننا وينتقصون نبينا ويستهزئون بشريعتنا، فكيف يستقيم الإيمان ونحن نقدم لهؤلاء الكفار كل صباح ومساء فروض الطاعة، ونعمل على خدمتهم على حساب حقوق شعوبنا وديننا، وفي عصرنا الذي نعيشه نجد أن أهل الكتاب ما تركوا وسيلة من وسائل الاستهزاء بالله وبدينه وبعباده المؤمنين إلا واستعملوه وسلكوه، وهذا واضح في أقوالهم وإعلامهم وسلوكهم، منتجات الطعام والشراب واللباس استغلوه للإيذاء والاستهزاء والسخرية، وامتهان كتاب الله، ومع هذا نجد المغفلين من المسلمين يوالونهم، ولو بطريق غير مباشر بالشراء من هذه المصانع وتلك الشركات التي تطعن في ديننا وتهزأ بربنا وتستبيح حرمة إسلامنا، وإذا قام فينا غيور وذكّر الأمة بهذا الواجب الإيماني هُمز وغُمز ووصف بالتطرف والرجعية وعداوة الإنسانية والتعسف

والسوداوية وغير ذلك من قاموس الشتائم الذي يعيشه من سماهم الله بالمجرمين على المؤمنين الموحدين.

٤. الإعراض عنهم وعدم مجالستهم: من واجب المؤمنين والدعاة أن ينأوا بأنفسهم عن مجالسة ومعاشرة أهل السخرية والاستهزاء، قال تعالى: **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ}** (سورة الأنعام:٦٨-٧٠)، وقوله تعالى: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}**(سورة النساء: ١٤٠)، لقد كثر التساهل في هذه المسألة فرأينا من يتخذ الهازلين أولياء وجلساء وأصفياء وأخلاء، بل يدافع عنهم ويذب عن أعراضهم، وكأنه صفي حميم لهم.

٥. إعلان الحق دون وجل أو استحياء اقتداءً بالنبي عليه الصلاة والسلام: حينما كثر استهزاء وسخرية أهل مكة منه أمره الله تعالى: **{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}** (سورة الحجر: ٩٤-٩٥)، لقد قالت قريش وفعلت بالنبي والمؤمنين معه كل شيء، فما زاد ذلك النبي عليه السلام والمؤمنون معه إلا مُضياً في طريق الحق والعودة.

وهكذا كل من يسير على طريق النبوة، ويتصدون لأمر الدعوة يجب أن لا تردهم كلمة ساخرة، أو غمزة ساقطة في فيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني، أو مقال في صحيفة أو خطبة في مؤتمر، أو قصيدة شعر في ديوان، ومن الأمور العجيبة التي نراها أن أهل الباطل ودعاة الضلال والهوى مهما يواجههم من عقبات ومتاعب في طريق دعوتهم للباطل إلا أنهم يثبتون على دعواتهم وباطلهم، ويظهرون من التمسك بهذه الدعوات، وقد يسجنوا ويعذبوا أو يعدموا، وأهل الإيمان والحق أولى بذلك وأحق، فلا يجوز أن يُهزم أهل الإيمان من أول جولة، و عليهم أن لا يتقوقعوا على أنفسهم، ولنا برسول الله وبصحبه الكرام، وبمن سار على طريق دعوته الرشيدة قدوة.

المبحث الخامس

سخرية القرآن من المشركين والكافرين

تحدث القرآن وتحدثت السُنة النبوية كثيراً عن سخرية أعداء الإيمان والنبوات، حتى أنه لم يترك قولاً من أقوالهم، أو فعلاً من أفعالهم إلا وتحدث عنه وفضحه، وقبل الدخول في موضوعنا، أحب أن أسأل هل للسخرية من فوائد وإيجابيات:

أقول نعم، ومنها:

- فضحهم وبيان هوانهم وتعريتهم.
- تحذير المؤمنين من أن يتصفوا بصفاتهم الذميمة.
- الرد على ادعاءاتهم وتشنيعاتهم.
- كبح جماحهم وتقريعهم وتوبيخهم.
- دفع المستهزئين والساخرين بالفساد والضلال.
- بيان أنهم لا يختلفون مع اختلاف الأزمان.

من خلال تتبعنا لآيات القرآن الكريم ذات العلاقة بالاستهزاء والسخرية، نجد أن القرآن قد هزئ وسخر من

المشركين والكافرين والمنافقين، وحكم عليهم إما بالغفلة أو إتباع الهوى والضلال، واتبع القرآن مع هؤلاء الناس أسلوبين: أسلوب السخرية اللفظية، وأسلوب السخرية المعنوية:

أولاً. السخرية اللفظية: استعمل القرآن الكريم كثيراً من الألفاظ ذات الدلالة في مجال السخرية، هي ليست من ألفاظ السخرية، لكن القرآن الكريم استعملها لبيان مزيد من الاستهزاء والسخرية من هؤلاء المشركين والكافرين والمنافقين، من هذه الألفاظ:

١. التذوق: وهي لفظة تستعمل عادة في مجال التلذذ بالأطايب من المطعومات والمشروبات، ولها علاقة بطيب العيش ورغد الحياة والنعمة الظاهرة، إلا أن القرآن استعملها للهزئ والسخرية والتبكيت والتوبيخ.

من أمثال ذلك قول الله تعالى: **{كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (سورة الحشر:١٥) .

نزلت في بني النضير بعد هزيمة قريش في بدر، فكان أن طردوا من ديارهم، وأخذت أموالهم، وبساتينهم وديارهم غنيمة للمسلمين، فأي طعم وأي تذوق للمذلة والمهانة ذاقوه،

صور الله سبحانه المهانة والمذلة المعنويتان وكأنه طعام يؤكل، يحس ويذوق الإنسان طعم مرارته. ومنه قول الله تعالى: **{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}** (سورة الدخان: ٤٩).

سخرية واستهزاء وتقريع لهذا البخيل الذي أعطاه الله المال، فبخل به على غيره، ممن هم بحاجته، هذا المال سيكون عليه وبال وحسرة يوم القيامة، هذا الذي كان عزيزاً صاحب مكانة مرموقة في الدنيا، هو اليوم ذليل مهان، منكس الرأس، فرق كبير بين مكانته في الدنيا ومكانته اليوم في الآخرة، هل أغنت عنه أمواله ومناصبه وجاهه الذي كان في الدنيا، هل أغنت عنه شيء في الآخرة.

٢. الهدى: ومعناه واضح فهي طريق الحق والإيمان وسبيل السعادة، لكن القرآن استعملها في غير ما وضعت لأجله، فهي تأتي بمعنى التردي والسقوط، والنهاية المؤلمة.

قال تعالى: **{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}** (سورة الصافات: ٢٣)، هذه هي نهاية المشركين الضالين، والمنافقين والكفار على العموم، يوم تدفعهم الملائكة دفعاً إلى جهنم.

ومنه قول الله تعالى: **{كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}** (سورة الحج: ٤).

ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "... **والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار**" (١).

٣. البشرى: ويكون عادة في نقل الأخبار السعيدة، على المستوى الرباني كالمغفرة والرضوان والثواب الجزيل، وعلى المستوى الإنساني كالأخبار بما يفرح ويسعد كالفوز والنجاح، والكسب والولادة وغيرها، إلا أننا نجد القرآن قد استعمل هذا اللفظ في غير ما وضع له أحياناً من مثل الإنذار والتحقير والتوبيخ.

ومن أمثال ذلك قول الله تعالى: **{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}** (سورة النساء: ١٣٨).

ومنها قول الله تعالى: **{كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}** (سورة لقمان: ٧).

ومنه قوله تعالى: **{وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}** (سورة التوبة:٣).

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٦٠٩٤)، كالأدب، باب: وما يُنهي عن الكذب، ١٩٢٣/٤.

ومنه قول الله تعالى: **{وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}** (سورة آل عمران: ٢١). وهذه البشرى هي بشرى ذم وتوبيخ وتقريع لا بشرى خير.

٤. كيف: وهو اسم استفهام يحتاج إلى إجابة، إلا أن الله سبحانه وتعالى استعمله للاستهزاء والسخرية والتقريع، وكثيراً ما جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم.

ومن أمثاله قول الله تعالى: **{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ}** (سورة آل عمران: ٨٦).

ومنه قول الله تعالى: **{فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}** (سورة الرعد: ٣٢).

فكيف هنا ليست استفهامية: إنما جاءت لبيان النهاية والخاتمة التي عليها هؤلاء الكفار والمشركين والمنافقين، وهي حينما تذكر لبيان النهاية والخاتمة، وخصوصاً فيما يتعلق بأعداء الدعوة، وهذا من باب السخرية والاستهزاء بهؤلاء الكفار والمنافقين، وللتحذير من النهاية التي وصلوا إليها.

هذا بعض شيء من أسلوب القرآن في طريقته للاستهزاء والسخرية من الكفار والمنافقين، والمشركين، وهو أسلوب يحطم العجرفة والكبرياء التي يعيشها هؤلاء الناس.

ثانياً: الاستهزاء والسخرية المعنوية: وصف الله سبحانه الكفار والمشركين والمنافقين بأوصاف متعددة وهي من باب السخرية والاستهزاء المعنوي، ومنه أنهم:

١. أهل أهواء وضلالات: إنهم كالأنعام السارحة بل هم أضل سبيلاً، قال تعالى: **{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}** (سورة الفرقان:٤٣-٤٤).

٢. أنهم يسيئون إلى أنفسهم بكفرهم ونفاقهم: إن الله يُحدث عما يتوقعون ويتمنون، كقوله تعالى: **{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ}** (سورة الحج: ١٥).

٣. إظهار ما يخفون في أنفسهم: لقوله تعالى: **{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ**

لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (سورة المنافقون: ١-٢).

٤. السخرية من مظاهرهم وفصاحة ألسنتهم: فهم أصحاب هيئة جميلة، وكلام فصيح وطلاقة لسان، إلا إنهم هياكل بلا أرواح، فهم خشب مسنّدة، جبناء، تطيش عقولهم حين سماع أي نداء، وصفهم الله تعالى فقال: **{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}** (سورة المنافقون: ٤).

٥. سوء خاتمتهم يوم القيامة: وهي سخرية غاية في تقريعهم وشتمهم يقول تعالى: **{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}** (سورة محمد:٢٧).

القرآن هنا يصور مهانة ما عليه المنافقون يوم القيامة، تعاملهم الملائكة معاملة غاية في الإذلال، الضرب على الوجوه وهم الذين كانوا سادة في الدنيا، والضرب على

الأدبـار كـأنهم حيوانـات، لا كرامـة لهـا، وهـذا غايـة فـي الاستهانة والاحتقار منهم ومن أمثالهم (١).

هذا شـيء قليل من كثير، وكتاب الله سبحانه وتعالى مليء بالأساليب المتنوعة التي تتلائم مع كل حال وموقف.

والحمد لله رب العالمين، اللهم تقبل مني عملي هذا واجعله في ميزان حسناتي وحسنات والديّ.

---

١ انظر: عثمان قدري: من أساليب التربية في القرآن. ٢٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أحكام أهل الذمة: ابن القيم / محمد بن أبي بكر – دار ابن حزم – بيروت – الأولى – ١٩٩٧م.

٢. أحكام القرآن: ابن العربي / أبو بكر محمد – دار الفكر – بيروت – الأولى.

٣. أحكام المرتد: السامرائي/ نعمان عبد الرازق – دار العلوم للطباعة – الثانية – ١٩٨٣م.

٤. إحياء علوم القرآن: الغزالي / محمد أبو حامد – مكتبة دار مصر – القاهرة – الأولى – ١٩٩٨م.

٥. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د.محمد محمد حسين – مؤسسة الرسالة – بيروت – الثامنة – ١٩٨٦م.

٦. الاستهزاء بالدين: القرشي / أحمد بن محمد – دار ابن الجوزي – الدمام – الأولى – ٢٠٠٥م.

٧. الاستهزاء بالدين وأهله: القحطاني/ محمد بن سعيد – موقع الكتروني (سعيد نت).

٨. إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الدامغاني/ الحسين بن محمد – دار العلم للملايين – بيروت – الثانية – ١٩٨٠م.

٩. الإعلام بقواطع الإسلام: الهيثمي / أحمد بن محمد – دار الفكر – بيروت – ١٩٨٣م.

١٠. إغاثة اللهفان: ابن القيم / محمد بن أبي بكر – مكتبة الدعوة الإسلامية – القاهرة – ١٩٦١م.

١١. اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية / أحمد عبد الحليم – مكتبة الرشد – الرياض – الثانية – ١٩٩١م.

١٢. الإقناع: ابن المنذر / محمد بن إبراهيم – مطابع الفردوس – الرياض – الأولى – ١٤٠٨هـ.

١٣. بدائع الفوائد: ابن القيم / محمد بن أبي بكر – دار ابن الجوزي – الدمام – الأولى – ١٩٩٣م.

١٤. البداية والنهاية: ابن كثير /إسماعيل – دار الفجر الجديد – القاهرة – الأولى – ٢٠٠٣م.

١٥. البيان والتحصيل: ابن رشد / أبو الوليد – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٨٤م.

١٦. التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور – دار سحنون – تونس.

١٧. التذكرة: القرطبي / محمد بن أحمد – دار المنار – القاهرة – الأولى – ١٩٩٧م.

١٨. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير/ إسماعيل – دار الأندلس – بيروت – ١٩٨٤م.

١٩. تفسير المنار: رشيد رضا – دار المعرفة – بيروت – الثانية.

٢٠. تلخيص الاستغاثة: ابن تيمية / أحمد عبد الحليم – مكتبة الغرباء الأثرياء – الأولى – ١٤١٧هـ.

٢١. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي /محمد بن أحمد – دار الشام – بيروت – الثانية.

٢٢. جامع البيان: الطبري / محمد بن جرير – دار المعارف – القاهرة – الأولى.

٢٣. جاهلية القرن العشرين: محمد قطب – دار الشروق – القاهرة –

٢٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية / أحمد بن عبد الحليم – مطبعة المدني – القاهرة – ١٩٦٤م.

٢٥. حصوننا مهددة من داخلها: د.محمد حسين – دار الريان – مكة المكرمة – الثانية عشر – ١٩٩٣م.

٢٦. الدر المنثور: السيوطي/ جلال الدين – مكتبة الوراق – الرياض – الأولى – ١٩٩٤م.

٢٧. الدرر السنية: ابن القاسم /عبد الرحمن – مطبعة الحكومة – مكة – الثانية – ١٩٦٥م.

٢٨. دلائل الأحكام: ابن شداد/ بهاء الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٩٩١م.

٢٩. الذخيرة: القرافي / أحمد بن ادريس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٤م.

٣٠. الرحيق المختوم: المباركفوري / صفي الرحمن – دار الوفاء – المنصورة – ٢٠٠١م.
٣١. الرد على الهمجية والزنادقة: الدارمي / أبي سعيد – منشأة المعارف – الإسكندرية – ١٩٧١م.
٣٢. رسالة في الرد على الرافضة: محمد بن عبد الوهاب – دار طيبة – الرياض.
٣٣. الروضة الندية: صديق خان /محمد دار ابن حزم – الرياض – الأولى – ٢٠٠٢م.
٣٤. السلوك الاجتماعي: أيوب حسن – دار البحوث العلمية – القاهرة – الثانية – ١٩٧٩م.
٣٥. السنة ومكانتها في التشريع: مصطفى السباعي – دار الوراق – القاهرة –الأولى – ٢٠٠٠م.
٣٦. السنن: ابن ماجه/ محمد بن يزيد – المكتبة العلمية – بيروت.
٣٧. السنن: أبو داود / سليمان بن الأشعث – الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – الأولى – ١٩٨٨م.
٣٨. السنن: الترمذي / محمد بن عيسى – المكتبة السلفية – المدينة المنورة – الأولى – ١٩٦٤م.
٣٩. السنن: النسائي / أحمد بن شعيب – دار المعرفة اللبنانية – القاهرة – ١٩٨٧م.

٤٠. السنن الكبرى: البيهقي/ أحمد بن حسين – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٩٩٤م.

٤١. سير أعلام النبلاء: الذهبي / محمد بن أحمد – مكتبة الصفا – القاهرة – الأولى – ٢٠٠٣م.

٤٢. السيرة النبوية: ابن هشام/ أبو محمد – دار الجيل – بيروت – الأولى – ١٤١١هـ.

٤٣. شروح السنة: البغوي/ الحسين بن مسعود المكتب الإسلامي – بيروت – الأولى – ١٩٨٣م.

٤٤. شرح الفقه الأكبر: القاري/ علي بن سلطان – دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٥. الشفا: عياض /بن موسى – مكتبة الصفا – القاهرة – الأولى – ٢٠٠٢م.

٤٦. الصارم المسلول: ابن تيمية / أحمد بن عبد الحليم – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٧٨م.

٤٧. الصحاح: الجوهري / إسماعيل بن حماد – دار العلم للملايين – بيروت – الرابعة – ١٩٩٠م.

٤٨. الصحيح: البخاري/ محمد بن إسماعيل – المكتبة العصرية – بيروت – الأولى – ١٩٩٧م.

٤٩. الصحيح: مسلم/ بن الحجاج – دار الخير – بيروت – الثالثة – ١٩٩٦م.

٥٠. صفوة الآثار والمفاهيم: الدوسري / عبد الرحمن – مكتبة دار الأرقم – الكويت – الأولى – ١٩٨١م.

٥١. العصرانيون: محمد حامد الناصر – مكتبة الكوثر – الرياض – الثانية – ٢٠٠١م.

٥٢. العقلانيون: علي بن حسن الحلبي – مكتبة الغرباء – المدينة المنورة – الأولى – ١٩٩٣م.

٥٣. على هامش السيرة: طه حسين – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨١م.

٥٤. فتاوى ابن عابدين: محمد أمين – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى.

٥٥. الفتاوى: محمد بن إبراهيم – مطبعة الحكومة – مكة المكرمة – ١٣٩٩هـ.

٥٦. الفتاوى الكبرى: ابن تيمية – أحمد بن عبد الحليم – دار الريان للتراث – مصر – الأولى – ١٩٨٨م.

٥٧. فتح الباري: العسقلاني / أحمد بن علي – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٦م.

٥٨. فتح العلام بشرح مرشد الإمام: الجرداني / محمد عبد الله – دار السلام – الثالثة – ١٩٨٨م.

٥٩. الفتح القدير: الشوكاني / محمد بن علي – دار الفكر – بيروت.

٦٠. الفروق: العسكري/ الحسين بن عبد الله – دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٣م.

٦١. الفقه الإسلامي وأدلته: الزحيلي وهبة – دار الفكر – بيروت – الرابعة – ٢٠٠٢م.

٦٢. في ظلال القرآن: سيد قطب – دار الشروق – القاهرة – السابعة – ١٩٧٨م.

٦٣. القاموس الفقهي: أبو حبيب سعدي – دار الفكر – دمشق – الثانية – ١٩٨٨م.

٦٤. الكليات: أبو البقاء الكوفي – أيوب الحسيني – مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى – ١٩٩٢م.

٦٥. الكنز الثمين: ابن جبرين/ عبد الله بن عبد الرحمن – المطبعة الحكومية – مكة المكرمة – ١٤٠٧ هـ.

٦٦. لسان العرب: ابن منظور/ محمود – دار الجيل – بيروت – الأولى – ١٩٨٨م.

٦٧. مجموعة الفتاوى: ابن باز /عبد العزيز – دار القاسم – الرياض – الأولى – ١٤٢٠ هـ.

٦٨. محاسن التأويل: القاسمي/ محمد جمال الدين – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الأولى – ١٩٩٤م.

٦٩. المحرر الوجيز: ابن عطية / عبد الحق بن غالب – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٩٩٣م.

٧٠. محنة السخرية والاستهزاء: العرابيد_ عبد السميع – مؤتمر الدعوة الإسلامية – الجامعة الإسلامية – غزة – ٢٠٠٥م.

٧١. مدارج السالكين: ابن القيم /محمد بن أبي بكر – دار الكتاب العربي – بيروت – الثانية – ١٣٩٣هـ.

٧٢. مسائل الإمام أحمد: أحمد بن حنبل – مكتبة الدار – المدينة المنورة – الأولى – ١٩٨٦م.

٧٣. المستدرك: الحاكم النيسابوري/ عبد الله – دار المعرفة – بيروت.

٧٤. مطلب أولي النهى: مصطفى السيوطي – الثانية – ١٩٩٤م.

٧٥. معالم التنزيل: البغوي / الحسين بن مسعود – دار المعرفة – بيروت – الثانية – ١٩٨٧م.

٧٦. معالم السنن: الخطابي/ حمد بن محمد – دار الحديث – بيروت – الأولى – ١٩٦٩م.

٧٧. المغني: ابن قدامة –موفق الدين – دار الفكر – بيروت – الثانية – ١٩٩٢م.

٧٨. المفردات: الراغب الأصفهاني – مصطفى اليابي الحلبي – مصر.

٧٩. مقاييس اللغة: ابن فارس/ الحسين بن أحمد – دار الجيل – بيروت – الأولى – ١٩٩١م.

٨٠. نضرة النعيم: ابن ملوح /عبد الرحمن – دار الوسيلة للنشر – الأولى – ١٩٩٨م.

٨١. النفاق وأثره في حياة الأمة: سيد جمعة سلام – مكتبة جزيرة الورد – القاهرة – الأولى – ٢٠٠٧م.

٨٢. الهادي إلى لغة العرب: حسن الكرمي – دار البيان – بيروت – الأولى – ١٩٩٢م.

٨٣. اليهود في القرآن الكريم: الصالح /محمد أديب – دار الهدى – الرياض – الأولى – ١٩٩٣م.

٨٤. **الدوريات:**

٨٥. صحيفة اليمامة: العدد (٨٨٧)، ١٤٠٦/٤/٢٧هـ.

كشف مؤلفات الأستاذ حسني العطار

داعياً الله أن ينفع بها وأن تكون في ميزان حسناته ومن له حق وفضل عليه:

أولاً. الدراسات القرآنية:

١. من آيات الإعجاز في القرآن الكريم (دراسة).

٢. الاستهزاء والسخرية في ضوء القرآن الكريم. (دراسة).

٣. الحوار في القرآن الكريم: دراسة ونموذجاً. (دراسة).

٤. قيم تربوية مستنبطة من قصص سورة الكهف. (دراسة).

٥. الرازي ومنهجه في التفسير وموقفه من اليهود. (دراسة).

ثانياً. علوم الحديث ومصطلحه:

٦. قضايا حديثية. (دراسة).

٧. دراسات حديثية تحليلية معاصرة. (دراسة).

٨. قطوف ومختصرات من علم أصول الحديث.

٩. إرشاد الأبرار إلى تخريج أحاديث المختار. (مساق أكاديمي).

١٠. مفتاح كتاب تحفة الأشراف للإمام المزّي

ثالثاً. دراسات في العقيدة والفكر:

١١. يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي. (دراسة).

١٢. المختصر المفيد لأشراط الساعة وأحداث يوم الوعيد.

١٣. نظرية الخلافة عند الخوارج. (دراسة).

١٤. أثر العقيدة الإيمانية على الصحة النفسية. (دراسة).

١٥. عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة: عرض ونقد. (دراسة)

١٦. السنن الإلهية: وحركة النهضة الإنسانية – دراسة وعرض. (دراسة).

١٧. نظرية الفضيلة عند اليونان والمفكرين الإسلاميين. (دراسة).

١٨. البابية والبهائية: ضلال وإضلال. (دراسة).

١٩. شرع من قبلنا (دراسة).

٢٠. الوالدان: بين البر والعقوق. (دراسة).

٢١. نظرات سريعة في كتاب " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة " (اختصار).

٢٢. مختصر لكتاب "التوسل أنواعه وأحكامه" للشيخ ناصر الدين الألباني.

٢٣. مختصر لكتاب "الروح" لابن قيم الجوزية.

٢٤. تلخيص كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر لابن قيم.

٢٥. مختصر لكتاب "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد " لعثمان علي حسن.

٢٦. العقائد اليهودية فساد وإفساد دراسة ونقض. (دراسة).

٢٧. العقائد النصرانية ضلال وإضلال دراسة ونقض. (دراسة).

٢٨. دراسة وتحليل لسفر أخبار الأيام الثاني. (دراسة).

٢٩. نظرية الإمامة عند الشيعة. (دراسة).

٣٠. الفرق بين الجهاد والإرهاب. (دراسة).

٣١. أهم أسباب تخلف العرب والمسلمين. (دراسة).

٣٢. الدكتور مصطفى محمود: آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة (رسالة ماجستير).

٣٣. مصطفى محمود حياته وآراؤه الاعتقادية. (دراسة).

٣٤. مصطفى محمود حياته وموقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة. (دراسة).

٣٥. رمضانيات مقالات وذكريات. (مجموعة مقالات).

٣٦. عطاريات: مقالات في الدين والحياة. (مجموعة مقالات).

٣٧. قيمنا الأخلاقية بين الأهمية والحاجة. (دراسة). مطبوع

٣٨. الأخلاق بين الادعاء والالتزام. (دراسة). مطبوع

٣٩. قضايا دينية وفكرية. مقالات.

٤٠. فيس بوك صائم.

٤١. في عيونهم.

رابعاً. دراسات فلسطينية:

٤٢. مدينة القدس، والمسجد الأقصى: ماضٍ مجيد ومستقبل موعود. (دراسة).

٤٣. فلسطين: نقض مزاعم الكتاب المقدس. (دراسة).

٤٤. فضائل فلسطين وبيت المقدس في الكتاب والسنة. (دراسة).

٤٥. القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية. (دراسة).

٤٦. القدس بين التهديد والتهويد. (محاضرات ومقالات).

٤٧. مدينة القدس أخطار لا تتوقف. محاضرة

خامساً. دراسات أدبية:

٤٨. عبد الرحمن بارود: شاعر المقاومة ـ (دراسة نقدية).

٤٩. عاشق فلسطين: عبد الكريم الكرمي (دراسة).

٥٠. الشيخ رجب العطار ذاكرة أمة. (مذكرات). مطبوع

٥١. الشيخ رجب العطار مجاهداً. (دراسة). مطبوع

٥٢. طوبى للغرباء: قصة حياة الحاج موسى برهوم. مقالات.

٥٣. صعوبة المطالب في بلاد الله غالب. رواية. مطبوع

٥٤. شخصيات عرفتهم. مقالات.

٥٥. العطار في بلاد المختار. رواية. مطبوع

٥٦. حكاية مواطن غزاوي. حكاية. مطبوع

٥٧. بين الذكريات. ثلاثة أجزاء مقالات.

٥٨. أمي سلام عليك في الخالدين. مطبوع

٥٩. قصص وحكايات.

٦٠. شاميات. حكاية من حلقات مطبوع

٦١. أبي قصة حياة. مطبوع

سادساً. دراسات فقهية:

٦٢. الدية في الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية).

٦٣. الوديعة المصرفية: دراسة فقهية – اقتصادية. (دراسة).

٦٤. الانتخابات وأحكامها في الإسلام. (دراسة). مطبوع

٦٥. حقوق المرأة المالية في الإسلام. (دراسة فقهية).

٦٦. دية المرأة المسلمة في الشريعة الإسلامية. (دراسة فقهية).

٦٧. الخنزير: أخطاره وأحكامه (دراسة مقارنة).

٦٨. السماحة الإسلامية في الضرورة الشرعية. (دراسة).

٦٩. قضايا اجتماعية. مقالات

٧٠. الصوم وتهذيب النفس. دراسة.

٧١. تلخيص كتاب الاختلافات العلمية.

٧٢. كورونا بين المحنة والمنحة. مطبوع

٧٣. لو سمحت لحظة من فضلك.

سابعاً. في الفكر السياسي:

٧٤. إسرائيليات.

٧٥. مستقبل الصراع الإسلامي الصهيوني من خلال كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون". (دراسة).

٧٦. الماسونية: أخطر الجمعيات السرية. (دراسة)

٧٧. فلسطينيات مقالات في الوطن والقضية. مجموعة مقالات.

٧٨. مصر وقطاع غزة الأرض والسكان. مقالات

٧٩. انعكاسات حرب ٢٠٠٨م على المجتمع الفلسطيني والمجتمع الإسرائيلي. (دراسة تحليلية).

٨٠. مصر التي في خاطري. (مقالات ومنشورات)

٨١. أوراق عربية. (مقالات).

٨٢. تلخيص كتاب د. موسى أبو مرزوق مشوار حياة.

٨٣. الجزيرة العربية قبل الإسلام: الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (دراسة)

٨٤. أوسلو وخيبة الأمل الفلسطينية. مقالات.

٨٥. أنا والسلطة والوطن. مقالات.

٨٦. ثورات الربيع العربي وحكم الخروج على الحكام (دراسة).

٨٧. هموم كاتب ما بعد الهزيمة.

٨٨. رثائيات.

كتب تحت الإنجاز:

١. الشوق والحنين. سيرة ذاتية.

٢. أنا والمسجد الأقصى.

٣. الزمن الجميل. رواية

٤. بين الخير والشر. تأملات فلسفية

٥. نحن والغرب.

المحتويات


تمت بحمد الله